الفصل الثانى

السياسة الخارجية المصرية

تجاه المقاومة الإسلامية ضد السوفييت

١٩٧٩ ▥ ١٩٨٩

المبحث الأول : الأهمية الجيوسياسية لأفغانستان

المبحث الثانى: السياق التاريخى للعلاقات الأفغانية السوفييتية

المبحث الثالث: موقف مصر تجاه المقاومة الإسلامية ضد السوفييت

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثانى

السياسة الخارجية المصرية

تجاه المقاومة الإسلامية ضد السوفييت ١٩٧٩- ١٩٨٩

تعتبر مصر حكومة وشعبًا الرائد الأول والسند الأكبر لسائر حركات التحرر والتقدم فى العالم العربى على وجه الخصوص والعالم الإسلامى بشكل عام، وذلك لما لها من ثقل بشرى وبعد سياسى ومركز جغرافى وتاريخ حافل بالأحداث والتطورات السياسية والعسكرية والحضارية والاقتصادية والعلمية. كل ذلك يجعلها عنصرًا فعالًا ولاعبًا رئيسيًّا فى توجيه السياسة العربية والإسلامية والتأثير عليها. هذا التوجيه والتأثير الذى اتخذ أشكالًا متعددة متنوعة، تتمثل فى توفير الدعم والمساندة المادية أحيانًا والسياسية أو العسكرية أحيانًا أخرى، والدارس للتاريخ السياسى الثورى فى العالمين العربى والإسلامى يدرك بشكل ملحوظ ما تؤديه مصر وما تقوم به من جهد فى دعم حركات التحررالوطنية والسياسية منها، ودعم المد الثورى ضد الاستعمار العالمى الغربى أيًّا كان شكله وجنسه حتى أضحى المستعمرون يحسبون لمصر ألف حساب، ويدركون بعدها وتأثيرها وخطرها الإقليمى والدولى على مطامحهم وإستراتيجياتهم.

وفى هذا الفصل، يحاول الباحث إبراز دور مصر وأثرها السياسى والعسكرى فى دعم جهاد الشعب الأفغانى ماديًّا وعسكريًّا وسياسيًّا ضد الغزو السوفييتى لأرض أفغانستان، هذا الدور الذى لم يقتصر على كونه حكوميًّا بل توسع ليشمل شعب مصر كله. ويستهدف هذا الفصل التعرف إلى الأهمية الجيوسياسية لأفغانستان والتدخل السوفييتى فيها، حيث لم يكن ثمة موضوع

يستحوذ على اهتمام قادة العالم أكثر من موضوع التدخل السوفييتى فى أفغانستان. ثم بعد ذلك أسوق الكلام حول السياسة الخارجية المصرية تجاه المقاومة الإسلامية ضد السوفييت.

ولدراسة موضوع التدخل السوفييتى فى أفغانستان يتعين على الباحث الوقوف على الجذور التاريخية للعلاقات الأفغانية السوفييتية، لأن التدخل السوفييتى على أفغانستان لم يكن وليد لحظة أو مصادفة، ولكن كان هدفًا معينًا وبرنامجًا دقيقًا استغرق لتطبيقه والعمل به أكثر من ستين عامًا؛ لأن بذور الشيوعية بذرت فى أفغانستان فى عهد أمان الله خان، واستقام عودها فى الفترة الأولى من رئاسة محمد داود خان، ونضجت واستوت بعد تجديد القانون الأساسى عام ١٣٤٣هـ، إبان الفترة الثانية لحكم محمد داود خان (١٩٧٣م - ١٩٧٨م) أزهرت وأينعت[1].

وعلى ضوء هذا فإن الدراسة تنقسم إلى ما يلى:

المبحث الأول: الأهمية الجيوسياسية لأفغانستان.

المبحث الثانى: السياق التاريخى للعلاقات الأفغانية السوفييتية.

المبحث الثالث: موقف مصر تجاه المقاومة الإسلامية ضد السوفييت.

***

(١) ش. ن، حق شناس. **مرجع سبق ذكره**، ص ٤٦٥.

obeikandl.com

المبحث الأول

الأهمية الجيوسياسية لأفغانستان

تتميز أفغانستان بموقع فريد فى القارة الآسيوية، حيث تقع أفغانستان فى قلب آسيا، يحدها من الشمال طاجكستان وأزبكستان وتركمنستان وفى أقصى شمال الصين، ويحدها من الغرب إيران، ومن الشرق والجنوب باكستان. وهذا الموقع كان له عظيم الأثر فى تحديد ملامح وسمات السياسة الخارجية الأفغانية، وتعتبر أفغانستان من «الدول الحبيسة ـ Landlocked» التى لا توجد لها منافذ خارجية على البحر، وهو وضع انعكس عليها بالسلب وأحيانًا بالإيجاب، الأمر الذى أدى إلى توطيد العلاقات مع جيرانها الذين يملكون سواحل لتصريف منتجاتها.

وعلى الرغم من الحقوق الدولية التى منحها المجتمع الدولى للدول الحبيسة مرورًا بمعاهدة برشلونة عام ١٩٢١ واتفاقية جنيف ١٩٥٨ ومؤتمر المكسيك ١٩٨٢، إلا أن الحصول على هذه الامتيازات يظل رهنًا بإرادة دول المرور أو «دول الترانزيت ـ Transit-state»، حيث مُنحت دول المرور فى إطار هذه الاتفاقيات الحقَّ فى منع مرور السلع والأشخاص التابعين للدول الحبيسة حين يترتب على عبورهم ضرر أمنى لهم، وقد استغلت بعض دول العبور هذا الحق كذريعة للضغط على الدول الحبيسة المجاورة لها[1]. وهذا ما عانته وما زالت تعانيه أفغانستان؛ ولذا ارتبط بهذا النمط من المواقع الكثير من مظاهر الضعف والعجز التى أصبحت تميز أفغانستان، وتتمثل هذه المظاهر فى الآتى:

(أ) أصبحت أفغانستان بموقعها القارى الحبيس من أكثر دول العالم عزلة وانزواء، الأمر الذى جعلها بعيدة عن تأثير تيارات التغييرالتى اجتاحت العالم، حيث أضفى طابع الانزواء والانطواء صفة المحافظة والركود على كثير من قطاعات الحياة الاقتصادية والاجتماعية، بما تحمله هذه الصفات الإستاتيكية من دلائل ومؤشرات على سيادة النظام القبلى فى الدولة.

(١) إبراهيم محمد العنانى «**الأبعاد القانونية للعلاقات الدولية والاقتصادية**»، مجلة الدراسات الدبلوماسية، العدد (٢) معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، إبريل ١٩٨٥، ص ٢١.

ومن ثم لم تتحول أفغانستان فى إطار النظام القبلى إلى منطقة جذب تشجع على التعامل مع العالم الخارجى بصورة تجعل منها حلقة من حلقات الاتصال والارتباط بين الشرق والغرب[1].

(ب) أفغانستان كدولة حبيسة كان له أكبر الأثر على الاقتصاد الأفغانى، وفى تشكيل السياسة الخارجية الأفغانية منذ وقت بعيد وإلى الآن، والمثال الأكثر توضيحًا لتلك التأثيرات هو مشكلة بشتونستان، حيث نشبت أزمة بشتونستان فى ١٩٦٠، واستمرت حتى ١٩٦٣ حين أغلقت الحدود بين البلدين، وكانت النتيجة أن ألحق الضرر بالاقتصاد الأفغانى، فقام السوفييت والهند بنقل المنتجات الزراعية الأفغانية المعدة للتصدير جوًا للتخفيف من حجم الأزمة.

ولكن الحصار وعدم فتح حدود من جانب باكستان سبب مصاعب جمة لأفغانستان، وبدأت إيران تؤدى دورًا سياسيًا فى التحريك الداخلى، وتوصل الشاه إلى إقناع الملك ظاهر شاه وعمه شاه ولى بضرورة تخفيف حدة (النفوذ السوفييتى) فى البلاد متعهدًا بأن تتخلى باكستان عن موقفها المتصلب، ونجح الهجوم الدبلوماسى الذى شنه الشاه، وطرد داود خان من منصبه بعد ١٠ سنوات قضاها كرئيس لوزراء أفغانستان. وما زالت باكستان تستغل تداعيات الموقع الحبيس لأفغانستان لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية، مثلما حدث عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وقد قامت آنذاك بمنع مرور التجارة الأفغانية عبر ميناء كراجى، وجاء ذلك تنفيذًا للمطالب الأمريكية بهدف تضييق الخناق على حركة طالبان فى أفغانستان.

الموقع الإستراتيجى لأفغانستان والتحديات

تقع أفغانستان فى قلب آسيا، وتحتل موقعًا إستراتيجيًا مهمًا جعلها على مر التاريخ ملتقى لقوافل التجارة بين الشرق والغرب، ومعبرًا للغزاة من الشرق والغرب والشمال وعلى أرضها امتزجت حضارات الشرق والغرب[2].

ونظرًا لأهمية هذا الموقع، شكلت أفغانستان جانبًا مهمًا من جوانب الفكر الجيوبوليتيكى العالمى ابتداءً من هالفورد ماكيندر H. Mackinder الذى قدم نظرية قلب الأرض Heartlans عام ١٩٠٤ «بأن من يسيطر عليه ملك زمام السيطرة على العالم» ثم جيمس فيرجريف J. Fairgrieve صاحب

(١) حسن طه نجم، **أفغانستان، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامى**، المجلد الخامس، «إقليم النطاق الجبلى فى غربى آسيا»، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٩٩، ص ٤٣١.

(٢) محمد عبدالقادر أحمد، **المسلمون فى أفغانستان**، الناشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ١٦.

نظرية منطقة الارتطام والاصطدام Crush zone والتى قدمها عام ١٩١٥، وانتهاءً بـ «سبيكمان Spykman» ونظريته المسماة بالنطاق الهامشى Rimland، كما أنها كانت وما زالت جزءًا مهمًّا من الإستراتيجية الأمريكية لتطويق واحتواء الدول المارقة ابتداءً من جورج كينان George Kennan[1] (الذى ابتدع سياسة الاحتواء Containment ضد الاتحاد السوفييتى، وانتهاءً بمارتن أنديك[2] Martin Indyk مهندس سياسة الاحتواء المزدوج Dual Containment Policy ضد إيران والعراق.

الموقع المجاور لأفغانستان

يقصد بالموقع المجاور موقع الدولة بالنسبة للدولة المجاورة لها مباشرة Immediate Neig-bours، والغرض من دراسة الموقع المجاور هو التعرف إلى طبيعة العلاقات التى يمكن أن تربط بين الدولة وجاراتها داخل حيز مكانى مشترك، وذلك على أساس أن هذا النمط من العلاقات له أهمية خاصة فى حياة الدول؛ لأنه يمس مسًّا مباشرًا حاجة الدول الأساسية إلى تأمين سلامة أراضيها ووحدة ترابها. وتدخل فى نطاق موقع أفغانستان كل الدول التى تشترك معها فى الحدود البرية، وقد تم تحديد الدول المجاورة لأفغانستان فى سياق دراسة الموقع، لذلك ستقتصر دراسة الموقع المجاور حول المحاور الآتية:

(أ) موقع الجوار وتأثيره على السياسة الخارجية للدولة

يظهر هذا التأثير منذ أن كانت أفغانستان واقعة بين إمبراطوريتين متصارعتين ومتنافستين، هما الإمبراطورية الروسية فى الشمال، والإمبراطورية البريطانية فى الجنوب (عندما كانت تسيطر على الهند). ونظرًا لأنها كانت تمثل حاجزًا بين شبه القارة الهندية ومنطقة وسط آسيا؛ أى أنها بمثابة نقطة العبور لتحقيق الهدف الروسى، وهى كذلك أيضًا بالنسبة للهدف البريطانى، والذى تمثل آنذاك فى الرغبة البريطانية فى تأمين حدود الهند الشمالية والتوسع فى الأراضى الأفغانية. وفى ظل مبادئ صراع القوى العظمى خلال القرن التاسع عشر، أخذت الإمبراطورية البريطانية على عاتقها مهمة التصدع الواسع للتطلعات القيصرية الروسية نحو شواطئ المحيط الهندى وبحر

(١) مدير قسم التخطيط السياسى بالخارجية الأمريكية حيث أشرف على التخطيط الإستراتيجى الأمريكى فى الفترة من ١٩٤٥ حتى ١٩٤٩.

(٢) مساعد وزير الخارجية الأمريكية السابق لشئون الشرق الأدنى.

العرب، ومن ثم دار صراع هائل بين أقوى إمبراطوريتين فى المنطقة آنذاك. القياصرة يريدون الوصول إلى المياه المفتوحة، والبريطانيون يقاومون لمنع تكرار التوسع الروسى الذى وصل إلى سواحل المحيط الهادئ.

وإذا كانت شبه القارة الهندية قد أدت دورًا رئيسيًّا فى هذا الصراع باعتبارها القاعدة الشرقية للإمبراطورية البريطانية، فإن دولة صغيرة مثل أفغانستان أدت هى الأخرى دورًا بالغ الأهمية باعتبارها نقطة مفصلية إستراتيجية بين عملاقين، ومنطقة عازلة بين ممتلكات الإمبراطوريتين المتصارعتين. ولقد حاول قدامى الحكام الأفغان أن يستغلوا هذا الموقع الإستراتيجى العازل لصالح المحافظة على وضعهم المستقل. بينما تبارت كل من بريطانيا العظمى، وروسيا القيصرية فى شن الحملات العسكرية على أفغانستان لإخضاعها واحتلالها ضمن السباق الاستعمارى الهائل خلال القرن الماضى... كانت بريطانيا تريد ألا تترك أفغانستان بموقعها الإستراتيجى المهم فريسة للقياصرة، وكان القياصرة يريدون ألا تقع أفغانستان ضحية للاستعمار البريطانى[١].

ومن أجل ذلك، تسابق الطرفان المتصارعان على إرسال جيوش الغزو فى محاولة لقهرهذه البلاد الجبلية الوعرة وإخضاع قبائلها المقاتلة الشرسة، لكن الضحية الحقيقية كانت هى القوات البريطانية والروسية التى واجهها الأفغان بمقاومة أسطورية فريدة، أجبرت القوتين فى نهاية القرن التاسع عشرعلى الاتفاق الضمنى على ترك أفغانستان منطقة عازلة مستقلة تفصل بينهما... ولقد ظل هذا الاتفاق الدولى الضمنى ساريًا يحمى استقلال أفغانستان وحيادها حتى تغيرت الأوضاع الدولية، واختلفت مقاييس الصراع بين القوى العظمى الحديثة خاصة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى فى سبعينيات القرن العشرين. فدخل الجيش السوفييتى أفغانستان فى أعقاب الثورة اليسارية التى قامت هناك عام ١٩٧٨ ليضع بذلك قواعد جديدة للعبة الشطرنج على قدم وساق بين العملاقين الأمريكى والسوفييتى، ولينجح فيما فشل فيه القياصرة الروس خلال القرن التاسع عشر أثناء صراعهم مع الاستعمار البريطانى. ولينهى وظيفة الدولة العازلة Buffer State ويقضى على مبدأ الحياد الذى التزمت به من قبل، ويضع أفغانستان على أبواب الانحياز بل والتبعية للاتحاد السوفييتى[٢].

---

(١) صلاح الدين حافظ، **أفغانستان الإسلام والثورة**، المكتب المصرى الحديث، القاهرة،١٩٨٧، ص ١٦٧.
(٢) المرجع السابق.

(ب) التأثير الجيوبوليتيكى لموقع الجوار على وضع الدولة الداخلية واستقلالها

يزيد من مساوئ الموقع المجاور لأفغانستان كثرة عدد الدول المجاورة، حيث تشترك أفغانستان فى حدودها مع ست دول تحيط بها. كما أن أفغانستان لا تمثل وحدة جغرافية متميزة ـ طبيعية وبشرية ـ رغم أن حدودها مع الدول المجاورة هى حدود جبلية فى الأغلب، ولكنها عبارة عن امتدادات طبيعية وبشرية للدول المجاورة، لا سيما فى ظل كثرة الممرات الجبلية والأودية النهرية القاطعة لهذه الحدود، إضافة إلى التدخلات الإثنية على جانبيها، الأمر الذى أفضى إلى زيادة احتمالات التدخلات الإقليمية من قبل القوى المجاورة فى الشئون الداخلية الأفغانية، وتسعى كل قوة من هذه القوى إلى خلق مجال لنفوذها عبر امتداداتها الإثنية فى أفغانستان على حسب المصالح الأفغانية، لذلك ظلت أفغانستان تمثل بؤرة توتر وقلق، وهى تتأثر وتؤثر بكل ما يجرى ويدور فى آسيا الوسطى وحتى الشرق الأوسط.

أفغانستان والواقع الدولى فى ظل القطبية الثنائية

أخذت الأهمية الحقيقية للموقع الجغرافى لأفغانستان تتبلور وتتضح معالمها، منذ أن أصبحت كيانًا سياسيًّا متكاملًا، بعد أن انفصلت عن الإمبراطورية الفارسية عام ١٧٤٧، ثم أخذ هذا الكيان السياسى الجديد يكتسب أهميته وخطورته فى ظل المنافسة والصراع بين الإمبراطورية البريطانية والإمبراطورية القيصرية تارة، وبين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى تارة ثانية، وبين القوى الإقليمية الأخرى تارة ثالثة، وأخيرًا فى ظل أهميته الإستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية. فبالنسبة لوضع أفغانستان فى الإطار العملى للصراع البريطانى الروسى، فقد تم الإلمام بهذا الموضوع فى سياق دراسة الموقع المجاور.

وضع أفغانستان فى الإطار العملى للصراع الأمريكى السوفييتى

وجدت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى فى صراعها خلال سنوات الحرب الباردة فى أفغانستان أرضية مناسبة لاختبار موازين القوى بينهما دون مواجهة مباشرة بين الطرفين، حيث استغلت الولايات المتحدة أهمية موقع أفغانستان فى صراعها مع الاتحاد السوفييتى، وذلك من خلال الآتى:

إثارة الفتنة فى جمهوريات الاتحاد السوفييتى الجنوبية الإسلامية اعتمادًا على التداخل الإثنولوجى على جانبى الحدود الأفغانية الشمالية مع هذه الجمهوريات، وقد اعتمدت الإستراتيجية

الأمريكية على سلاح الاعتقاد ضد تهديد الإلحاد، وبأن الدين هو السلاح الأكثر فاعلية ونفاذًا فى العالم الثالث على حد قول جون فوستر دالاس[١]. وبما أن الإستراتيجية الأمريكية فى العالم الثالث اعتمدت على سلاح الاعتقاد ضد تهديد الإلحاد فإن وكالة المخابرات الأمريكية تجاسرت على اتخاذ شعارات الإسلام لتكون وسيلتها وذخيرة سلاحها[٢]. انطلاقًا من حتمية مؤكدة وهى أن العقيدة الإسلامية الأكثر انتشارًا فى هذه المنطقة، كما أن وسائل القهر السوفييتية لم تستطع أن تنتزع الإسلام من قلوب سكان تلك الجمهوريات على مدى قرن من الزمان.

وكانت هذه المنطقة المدخل الأقرب للتجسس على عمق الاتحاد السوفييتى انطلاقًا من القواعد الأمريكية فى باكستان، وكان مطار بيشاور بالتحديد هو منطلق طائرات التجسس الأمريكية الشهيرة من طراز «U2»، وقد انكشف أمرها وأسقطت إحداها، وتكتم السوفييت على أمر قائد الطائرة وحطامها حتى فوجئ الرئيس «أيزنهاور» فى باريس وأثناء افتتاح مؤتمر قمة للأربعة الكبار فى العالم بالزعيم السوفييتى «نيكيتا خروشوف» يصرخ فى وجهه ويرمى أمامه على المائدة بصور تبدأ بصورة قائد طائرة التجسس الكولونيل «فرانسيس باور» ملقى على الأرض، ثم ممددًا على سرير مستشفى، ثم جالسًا أمام صحفيين عسكريين، ومجموعة كبيرة لصور أخرى التقطتها آلات التصوير الدقيقة لطائرات التجسس وتظهر فيها تفاصيل بعض المنشآت العسكرية واضحة ومكشوفة . وبعد الصراخ يمضى خروشوف ويصف «أيزنهاور» على مسمع من الرئيس الفرنسى «شارل ديجول» ورئيس الوزراء البريطانى «هارولد ماكميلان» بأنه كذاب ومنافق.

وهكذا وسط معمعان الحرب الباردة، ومع خطط إثارة الفتنة فى الجمهوريات الجنوبية الإسلامية للاتحاد السوفييتى، أصبحت أفغانستان على صعوبة أرضها وعزلة شعبها جسرًا مزدحمًا لأكبر عملية مخابرات سرية جرى تدبيرها وتنفيذها طوال القرن العشرين[٣]. وفى يقيننا أن السياسة الخارجية الأمريكية شجعت التورط السوفييتى فى أفغانستان بأشكال شتى، وعبر تلميحات التقطت فى موسكو، بل هى هيأت أجواء التدخل السياسى العسكرى السوفييتى الثقيل هناك خاصة بعد أن بدأت تثير المتاعب قرب ظهر الاتحاد السوفييتى، وعلى تلك الحدود الإستراتيجية الحساسة.

---

(١) وزير الخارجية الأمريكية الأسبق فى عهد دوايت أيزنهاور.

(٢) محمد حسنين هيكل، **الزمن الأمريكى من نيويورك إلى كابل**، المصرية للنشر العربى والدولى، يونيو ٢٠٠٣، ص ٢٠٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٤.

لقد كان حلم الأمريكيين هو تحويل أفغانستان إلى مستنقع يغرق فيه السوفييت عسكريًّا وسياسيًّا ويستنزفون ماديًّا، ويلطخون إعلاميًّا وأخلاقيًّا... تمامًا كما حدث مع الأمريكيين أنفسهم فى فيتنام، ومن ثم أرادوا تحويل أفغانستان إلى فيتنام جديدة للسوفييت[١]... حتى يتساوى الجميع فى التورط والاستنزاف والتلطيخ والسمعة السيئة، فضلًا عن الجرح الغائر فى جسد المجتمع نتيجة الخسائر البشرية الفادحة[٢]. كما قال بريجينسكى وقتها: إن أمامنا الفرصة الآن لكى نجعل الاتحاد السوفييتى يذوق مرارة الكأس التى شربناها فى فيتنام.

يبرز الدور الأمريكى فى هذا الشأن أيضًا عبر زيادة التورط السوفييتى فى المستنقع الأفغانى بعد الاحتلال السوفييتى لأفغانستان عام ١٩٧٩، من خلال مساندة المجاهدين ليس حبًّا فى الإسلام.. أو غيرة على حرية الشعب الأفغانى، بل إن الهدف كان يندرج فى إطار المغزى الحقيقى لمبدأ ريجان Reagan Doctrine... فى مواجهة مبدأ «بريجنيف»[٣] ألا وهو تقديم مساعدات مالية عسكرية كبيرة للمجاهدين الأفغان[٤]. ومساعدة معارضى النظم الحليفة للسوفييت حتى يتم استنزافها واستنزافهم... وحتى يدفع السوفييت أغلى الأثمان وأغلى الضحايا فى المستنقع الأفغانى الوعر. الأمر الذى كان من أهم عوامل تفكك الاتحاد السوفييتى. كما اعترف الرئيس نيكسون بفضل الجهاد الأفغانى فى إسقاط الشيوعية والاتحاد السوفييتى، حيث قال: إن شجاعة واستبسال المقاومة الأفغانية كانت أهم الأسباب التى أدت إلى انهيار الإمبراطورية السوفييتية فى أوروبا الشرقية[٥]. وهكذا عند الأمريكان كانت هزيمة الاتحاد السوفييتى إثباتًا لصحة مذهب ريجان الداعى إلى تأييد المقاومة المسلحة ضد الأنظمة الشيوعية[٦].

(١) حلت لعنة أفغانستان بالاتحاد السوفييتى مثلما حلت لعنة فيتنام بالولايات المتحدة. وكانت اللعنة أفدح وأفتك على الاتحاد السوفييتى. فإنه بمجرد تدخله فى أفغانستان هلك الزعيم الشيوعى بريجنيف صاحب الفكرة القاتلة، ثم هلك خلفه يورى اندروبوف صاحب التنفيذ، ثم هلك فسطنطين تشرننكو صاحب الاستمرار بالقتال، ثم رأس المجلس الأعلى جورباتشوف الذى لم يجد مناصًا من فتح حوار مع زعماء المجاهدين من أجل تيسير انسحاب الاتحاد السوفييتى من أفغانستان، واتفق على ذلك سنة ١٩٨٨. إلى أن تفكك الاتحاد السوفييتى بسبب مقاومة الأفغان.

(٢) صلاح الدين حافظ، **مرجع سبق ذكره**، ص ٢١٠.

(٣) ظهر هذا المبدأ كعنصر أساسى مكون من مكونات السياسة الخارجية السوفييتية بعد احتلالهم لتشيكوسلوفاكيا فى أغسطس ١٩٦٨، حيث أعطى هذا المبدأ الاتحاد السوفييتى، حق التدخل فى الشئون الداخلية لدول أوروبا الشرقية إذا ما تعرضت النظم الاشتراكية للخطر الداخلى أو الخارجى، أو ما يسمى بالثورة العكسية.

(٤) ازدادت المساعدات الأمريكية للمجاهدين الأفغان فى عهد ريجان وكان ريجان متعاطفًا ومتحمسًا مع القضية الأفغانية، ومن أقواله فى مدح المجاهدين: «إن هولاء السادة هم النظيرالأخلاقى للذين أسسوا الولايات المتحدة» عبارة لريجان وردت أثناء تقديم بعض زعماء المجاهدين لرجال الصحافة فى حديقة البيت الأبيض عام ١٩٨٦.

(٥) محمد مورو، **«الإسلام وأمريكا» حوار أم مواجهة**، تحليل للكتاب: الفرصة السانحة لريتشارد نيكسون، الدبس للنشر، ص ١٨.

(٦) صامويل هنتنجتون، **صراع الحضارات**، ترجمة عباس هلال كاظم، دار الأمل للنشر والتوزيع، إرْبِد، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص ٣٥٢.

فالأمر عند الأمريكان والغربيين عمومًا هو تحقيق أفغانستان الانتصار النهائى الحاسم، بل إنها «واتر لو» الحرب الباردة[١]. ومن ناحية أخرى استفادت الولايات المتحدة من الغزو بتحويل الأنظار عن قضية الرهائن الأمريكيين التى بدأت فى ٤ نوفمبر ١٩٧٩ ضمن مواجهة حادة بين الثورة الإسلامية الإيرانية والولايات المتحدة[٢].

هذا، وقد حققت أحداث ١١ سبتمبر لأمريكا أمنية عزيزة عندما كشفت لها عن عدو آخر طالما بحثت عنه منذ انهيار الاتحاد السوفييتى عام ١٩٩١؛ هذا العدو أصبح الإسلام الراديكالى، ولذلك لم يكن غريبًا أن تحدد أمريكا هدفها الأول منذ اليوم الثانى لأحداث ١١ سبتمبر، وهو تدمير شبكة القاعدة والقبض على أسامة حيًّا أو ميتًا باعتباره المسئول عن قتل أكثر من ٣٠٠٠ شخص، ولا يخفى علينا أن أمريكا أدخلت ضمن دائرة الخصم أو العدو كل من يعارض الهيمنة لأمريكا من خلال العولمة والنيوالليبرالية[٣]. وإن الباحث فى الشأن الأفغانى ومنطقة آسيا الوسطى يكتشف أن الولايات المتحدة كانت تستعد لشن حرب منفردة على أفغانستان منذ يونيو ٢٠٠١؛ أى قبل ثلاثة أشهر من أحداث ١١ سبتمبر عندما تفجرت الأزمة بين طالبان والمجتمع الدولى بسبب نية الحركة تدمير تمثالى بوذا، حيث أنذر الوفد الأمريكى ـ المشارك فى مفاوضات برلين المتعددة الأطراف حول مستقبل أفغانستان ـ بحدوث أمر خطير، بعد أن تيقن من فشل المفاوضات، وكان هذا الوفد برئاسة توم سيمونوس (السفير الأمريكى السابق فى إسلام آباد)، وضم فى عضويته كارل أندرفورث (مساعد وزير الخارجية سابقًا) ولى كولدرن (الخبير السابق فى وزارة الخارجية) وطبقًا لما ذكره نيازنيك ـ سفير باكستان فى باريس، والذى شارك فى المفاوضات ـ فإن الوفد الأمريكى أعلن أن الولايات المتحدة ستقوم بغزو أفغانستان فى منتصف شهر أكتوبر، وسوف تقوم بالإطاحة بنظام طالبان[٤].

---

(١) وهى المعركة التى وقعت فى ١٨ حزيران سنة ١٨١٥ فى مدينة «واترلو» فى وسط بلجيكا قريبًا من عاصمتها، ولقى فيها نابليون هزيمته النهائية بعد أن قهرت جيشه قوات بريطانيا وألمانيا وبلجيكا، وهذه هى التى جعلت تطلعات نابليون فى السيطرة على أوروبا أو توحيدها تحت رايته أحلامًا، وأجبرته على التقهقر إلى فرنسا.

(٢) السفير/ عبدالله الأشعل، المحاولات الإسلامية لمعالجة الأزمة الأفغانية، إبراهيم عرفات (محررًا)، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٧.

(٣) سعيد اللاوندى، **أمريكا فى مواجهة العالم: حرب باردة جديدة**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٣٥.

(٤) تيرى ميسان، **١١ سبتمبر ٢٠٠١ الخديعة المرعبة**، ترجمة داليا محمد السيد الطوخى، جيهان حسن عبد الغنى، ص ٦٢.

إلا أن الأمر كان فى انتظار لحظة أو حدث معين وملائم إلى أن جاء الحدث فى سبتمبر ٢٠٠١ وأصبح بن لادن هو كبش الفداء لتهدئة الرأى العام الأمريكى، وتحت ستاره يتم تحقيق الأهداف الإستراتيجية غير المعلنة[١]. فكانت أفغانستان الصيد الأول الذى فتح شهيتها على العراق، وسوف نتحدث بالتفصيل عن الأهداف غير المعلنة للحرب الأمريكية على أفغانستان فى الفصل الأخير.

أفغانستان والواقع الإقليمى

على الرغم من أن الولايات المتحدة ساعدت المجاهدين الأفغان ضد السوفييت قبل انهيارها، وشجعت المشاعر الدينية الإسلامية لدى المقاومة، إلا أنها بعد انتهاء المهمة أصبحت تواجه مخاطر إقامة دولة إسلامية فى أفغانستان[٢]. ومن هنا، طفت على السطح اقتراحات العودة الملكية، وبدأت المحاولات الذكية لخلخلة المجاهدين أو شرخ وحدتهم عن الطريق الفصل بين المعتدلين والمتشددين. وسعوا جاهدين للحيلولة دون إقامة حكم إسلامى فى أفغانستان، وجاء الصراع الممتد على مدار السنوات الماضية بعد انهيار الاتحاد السوفييتى بين الفصائل الأفغانية المتقاتلة ليؤخر إمكانية مثل هذه الدولة، وأدخلت أفغانستان إلى دائرة الصراعات الإقليمية، فوقوع أفغانستان بين الأقاليم غير المستقرة سياسيًّا وعسكريًّا ساعد على تخليد صورة الحرب الأهلية فيها. وكل من باكستان وإيران والسعودية تطمع وتعمل على بلورة الوضع النهائى عسكريًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا فى أفغانستان لصالحها؛ أى أن تنتصر فى النهاية القوى الموالية فى البلاد.

***

(١) صبرى طه العشرى، **ماذا وراء الحملة الأمريكية؟**، مجلة الدفاع، العدد ١٨٦، مؤسسة الأهرام، القاهرة، يناير ٢٠٠٢، ص ٥٩.

(٢) السفير / أحمد طه محمد، **الصراعات الإقليمية فى آسيا**، أوراق آسيوية، العدد ٦، فبراير ١٩٩٦، مركز الدراسات الآسيوية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ص ٣٩.

المبحث الثانى

السياق التاريخى للعلاقات الأفغانية السوفييتية

يتفق المؤرخون أن الجذور التاريخية للاهتمام والمصالح الروسية تجاه أفغانستان تعود إلى الفترة من ١٦٨٢ وحتى ١٧٢٥ فى ظل حكم بطرس الأكبر، وأيضًا احتلت أفغانستان محور الفكر الجيوبوليتيكى للقادة الروس آنذاك[١].

ففى ظل التوسع القيصرى كانت روسيا تنظر إلى المناطق المجاورة بما فيها أفغانستان على أنها مناطق تابعة أو تدخل فى مجالها التوسعى.. وقد ساعد على ذلك كثيرًا الطبيعة الطبوغرافية المشتركة لمعظم مناطق آسيا الوسطى، فعلى جانب الحدود كانت القبائل تتحرك بحرية واسعة بحكم أصولها العرقية المشتركة أو المتشابهة[٢].

ولقد بدأت أزمات الحدود بين أفغانستان وروسيا القيصرية تبرز على سطح الأحداث منذ الاحتلال البريطانى لشبه القارة الهندية بشكل خاص، ودخول الإمبراطوريتين البريطانية والقيصرية فى سباق للتنافس على التوسع والهيمنة فى آسيا، وهو الذى انتهى باحتلال بريطانى لبعض أجزاء من أفغانستان.

وبالتالى أصبح الاحتكاك مباشرًا بين العملاقين المتصارعين آنذاك، وقد وقع أول اتفاق رسمى بين الإمبراطوريتين لاقتسام النفوذ فى عام ١٨٧٣، وهو معروف باسم اتفاق كلاريدون ـ جوراتشكوف Claredon-Gortchakoff حيث اعتمد على نهر آمودريا كحد طبيعى، وتعهد الروس باحترام سيادة أراضى أفغانستان وإبقائها خارج الدائرة الجغرافية لنفوذهم[٣]. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى سعت روسيا إلى استغلال الحروب المتكررة بين دولة الأفغان والإنجليز، وقامت بتقديم العون العسكرى الضخم للأفغان، وبموجب ذلك عقدت معاهدة فى هذا الشأن بين حاكم أفغانستان (الأمير شير على خان) ومسئول البعثة الروسية الذى استقبل استقبالًا حارًّا، وكان ذلك فى عام ١٨٧٨، وتضمنت هذه المعاهدة تعهد الروس بمساعدة الأمير «شير على خان» فى الحرب ضد الإنجليز، وأن يجعل الروس الأسلحة والمهمات العسكرية وتكاليفها تحت تصرف أفغانستان.

(١) معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، ١٩٨٥، ص ٦٦.

(٢) صلاح الدين حافظ،مرجع سبق ذكره، ص ٨٧.

(٣) **جامعة الشعوب الإسلامية والعربية: المشكلة الأفغانية فى المحافل الدولية**، ديسمبر ١٩٧٩، ص ٤.

ومن هنا يمكن القول: إن الأمير شير على خان هو الذى فتح باب الصداقة والمكاتبة مع الجنرال الروسى كوفمان حاكم تركستان. وكان يعتقد أن قربه وصداقته للروس سيكونان، من ناحية، مانعًا من نفوذ الروس وتقدمهم، ومن ناحية أخرى لن تصل أيدى الإنجليز إلى أفغانستان ولكنه لم يمعن التفكير مطلقًا فى هذا الأمر، ولم يتدبر الحكمة القائلة: إن الفساد لا يتطهر بأفسد منه، وإن الاستعمار لا ينتهى بواسطة استعمار آخر، وبناء على هذا ضغط بحرارة على يد التعاون والصداقة مع الروس[١]. وعلى الرغم من الشواهد السابقة على وجود محاولات النفوذ الروسى إلى أفغانستان إلا أن النفوذ والعلاقة الوطيدة والمتينة بين روسيا وأفغانستان أصبحا حقيقة فى عهد الملك أمان الله خان. فقد تولى الأمير حبيب الله خان أفغانستان بعد موت أبيه عبد الرحمن خان[٢] سنة ١٩٠١ - ١٩١٩، ويعتبر من الأمراء الأفغانيين المجددين والمثقفين ثقافة غربية.

وكان أكثر الحكام احتياطًا فى علاقاته مع الروس، واستفاد من الخبراء المهرة الأتراك فى المشروعات العسكرية والصحية والاجتماعية والطباعة، وحتى آخر دقيقة لم يسمح لأى روسى بأن يدخل أفغانستان تحت اسم هذه الوظائف، ولكن إقرار العلاقات التجارية مع الروس قد حطم هذا السد، وهيأ أجمل طريق وأحسن فرصة كان الروس فى انتظارها، منذ سنوات[٣]. هذا وقد اهتم حبيب الله خان بالشئون الداخلية والنهضة بالمجتمع الأفغانى والدعوة إلى إحياء أمجاد المسلمين، وطرح فكرة اتحاد الممالك الإسلامية، وفى عهده دشنت المدرسة الحبيبية كما شقت الطرق واتخذت إجراءات لإدخال الآليات والوسائل الحضارية الحديثة وظهرت جريدة أسبوعية «سراج الأخبار» كان لها أثر مهم فى اليقظة القومية، وسمى نفسه بلقب سراج الملة والدين[٤]. وقد أثار ذلك حفيظة الروس بل والإنجليز معًا، مما دعاهم إلى التفكير فى التخلص منه، وهو ما حدث فعلًا عام ١٩١٩ حيث قتل حبيب الله خان بصورة غامضة فى ٢٠ فبراير ١٩١٩[٥] على يد قاتل مجهول.

(١) ش. ن. حق شناس، **مرجع سبق ذكره**، ص ٧٣.

(٢) أمير عبد الرحمن خان الذى وقع اتفاقية «ديورند» مع الإنجليز دون أخذ مشورة الشعب الأفغانى وممثليه، وكذلك دون الرجوع إلى مسئولى بلاطه. كان عالمًا بحضارة العالم وثقافته الجديدة، ومع ذلك لم يؤسس أية مدرسة، وكذلك لم يصدر أية «جريدة» فى الوقت الذى كانت أفغانستان على دراية بهما. ولم ترد مظالمُه «بالتنكيل هزارة» فى تاريخ أفغانستان. فقط يمكن أن يوجد مثال ذلك فى هجوم جنكيز خان. ميرغلام محمد غبار، أفغانستان درمسيرتاريخ. ص٦٧.

(٣) **المرجع السابق**، ص ١١٥.

(٤) **مجموعة مقالات بيرامون أفغانستان** (مجموعة مقالات حول أفغانستان)، مركز تحقيقات أفغانستان، طهران، ص ٧٣.

(٥) لودويك آدمك، **تاريخ روابط سياسى أفغانستان درنيمهء نخست سده بيستم** (تاريخ أفغانستان السياسية فى نصف القرن العشرين)، ترجمة فاضل صاحب زاده، طبع دوم ١٣٨٤، ناشر، بنكاه انتشارات كابل، ص ٨١.

وبعد قتله بأسبوع، تولى ابنه أمان الله خان الذى تصادف مع توليه الحرب الثالثة بين الأفغان والإنجليز، واتسمت السياسة الخارجية لأمان الله على توطيد العلاقات مع روسيا، حيث تعمقت العلاقات الروسية الأفغانية فى عهده، فقد اتصل بلينين عن طريق الرسائل والرسل وطلب منه المساعدة وفتح قنوات الاتصال بين البلدين فى المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية[١]. وخاطبه بلفظ «والأكهر»[٢]، وطلب منه المساعدة. وبذلك هيأ الفرصة لتطأ أقدام الروس أرض أفغانستان، وتتحقق أحلامهم القديمة، وكان لينين ينتظر مثل هذه الفرصة التى لم يكن يعتقد إمكانية حدوثها حتى فى المنام، وأكثر من هذا فقد كان أمان الله خان أول حاكم لبلاد إسلامية يزور موسكو بعد الثورة الشيوعية، ويعترف بالنظام الشيوعى حيث جاء إليها مهنئًا ومفتتحًا عهدًا جديدًا من الصداقة بين البلدين، واستقبل استقبالًا حارًّا من قبل السوفييت[٣]. وسرعان ما ترجم ذلك بتوقيع أول معاهدة صداقة بين أفغانستان والاتحاد السوفييتى. وفى ظل هذا الجو الودى توثقت العلاقات الأفغانية السوفييتية بدرجة كبيرة خاصة بعد أن قدم السوفييت مساعدات اقتصادية وعسكرية وفنية لأفغانستان فضلًا عن الاعتراف السياسى باستقلالها وحيادها.

كما وقعت معاهدة الحياد وعدم الاعتداء بواسطة محمود بك الطرزى وزير خارجية أفغانستان وليونيد ستارك، الوزير المفوض للاتحاد السوفييتى فى أفغانستان. وطبقًا للمادتين الثانية والثالثة يعتبر أى نوع من التدخل المسلح وغير المسلح، وإلحاق الضرر السياسى والعسكرى بأحدهما للآخر ـ مرفوضًا، وأيضًا أبدت أفغانستان رسميًّا فى هذه المعاهدة رغبتها فى بقاء الدول الإسلامية حرة، وأن تظل خيوة وبخارى حرتين، ولكن لم يمضِ الزمن طويلًا حتى نقض الروس هذه المعاهدة، وفى أول فرصة سنحت لهم استولوا على الدولتين المسلمتين الحرتين[٤]. كما أن أمان الله خان لم يوفق فى اتخاذ السياسة الخارجية النشطة، وكذلك أيضًا لم يوفق فى السياسة الداخلية، فقد سعى إبان الله لإبعاد الدين عن الدولة فشدد على إحلال نظام مدنى مكان التشريع الإسلامى، وحاول كسر احتكار الدورانيين (فرع من البشتون) فعين رئيس وزرائه من الطاجيك، وحرم الزواج بين الأقارب، ودعا لنزع الحجاب وارتداء الملابس الغربية، معلقًا بأن حجر الأساس للبناء المستقبلى لأفغانستان الجديدة سيكون تحرير المرأة[٥].

(١) ميرآقا حقجو، **أفغانستان ومداخلات خارجى** (أفغانستان والتدخل الأجنبى)، انتشارات ميوند، كابل، ص ٧٣.
(٢) والأكهر معناها بالفارسية: الدر الثمين، وتطلق كناية عن الأصل والحسب الرفيع، وهو ما يخاطب به الملوك، والأمراء.
(٣) أفغانستان وجهان، **مرجع سبق ذكره**، ص ٢٧٤.
(٤) ش. ن، حق شناس، **مرجع سبق ذكره**، ص ١٢٢.
(٥) حنا صالح، **أفغانستان الثورة**، دار الفارابى، الطبعة الأولى، ١٩٨٠، بيروت، ص ٣٥.

وبين عامى ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨ قام الملك أمان الله بجولة خارجية استغرقت قرابة سبعة أشهر زار خلالها الهند ومصر وإيطاليا وفرنسا وإيران وروسيا فى الوقت الذى كانت خزينة الدولة تكاد تكون خاوية، وخلال رحلته ظهرت زوجته الملكة ثريا فى أوروبا دون حجاب أمام الملأ، كما ارتدت الأزياء الغربية، وكانت أول امرأة أفغانية تفعل مثل ذلك[١]. ونشرت الصحف صورة الملكة ثريا دون حجاب وسرعان ما وصلت الصورة إلى كابل وانتشرت الأخبار فى طول البلاد وعرضها. وكانت وصول صورة الملكة سافرة إلى كابل عن طريق تسريب صحف إنجليزية. وكانت تلك المرحلة هى المرحلة التى أعقبت إلغاء الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ وهبوب رياح التغريب القوية على العالم العربى والإسلامى والتى اقتربت بانتصار الكماليين وتبنى العلمانية فى تركيا، وسار أمان الله خان على درب كمال أتاتورك فما إن عاد من رحلته حتى أصدر أوامره بما يلى:

التقرب من روسيا والابتعاد عن بريطانيا، منع تعدد الزوجات، تحديد عمر معين لعقد الزواج، كشف الحجاب، إنشاء مدارس مشتركة للأولاد والبنات، والارتداء الجبرى للزى الغربى من الحذاء حتى القبعة، وفى عقب هذا الأمر قبضوا على كل من يرتدى العمامة ومزقوا عمامته، وفى سلسلة هذه التغييرات أرسل عددًا من الفتيات للدراسة فى الخارج[٢]. وهكذا كان أمان الله لم يحسن إدارة البلاد بسبب محاولته تقليد أتاتورك فى حركة التغريب والتخلى عن التوجه الإسلامى. هذه الخطوات ونظائرها صدمت الجميع، فأفتى العلماء بكفر الملك وخلعه، وبعد صدور الفتوى من العلماء الكرام ثار الشعب ضد أمان الله خان وقاد الثورة فى كابل بتشجيع العلماء «حبيب الله كلكانى» واستولى على الحكم فى ١٧ يناير ١٩٢٩ الأمر الذى أنهى حكم أمان الله خان[٣]. وقد حاول السوفييت دعمه ومساندته إلا أنهم فشلوا، وهو ما اعتبر ضربة كبيرة للسياسة السوفييتية آنذاك. وتوفى أمان الله فى المنفى سنة ١٩٦٠[٤].

وعندما استولى حبيب الله «ابن السقاء» على الحكم، حاول فيها أسلمة الحكم على عكس سلفه، وسمى نفسه بخادم دين رسول الله، وخطب للشعب الأفغانى وقال قولته المشهورة: لقد

(١) مجموعة مقالات حول أفغانستان، **مرجع سبق ذكره**، ص ٨٠.

(٢) جواهر لآل نهرو، نكاهى به تاريخ جهان (**لمحات من تاريخ العالم**) ترجمة محمود تفضلى، مجلد ٣، ص ١٥٠٣.

(٣) لودويك دبليو آدمك، **مرجع سبق ذكره**، ص ٢٣٠

(٤) كان المصريون أكثر من كتبوا عن ديمقراطية الملك أمان الله خان وحبه لشعبه واعتزازه بالحرية والاستقلالية وكراهيته للإنجليز والإمبرالية، وقد وصف المصريون الملك أمان الله كنموذج مثالى للحاكم الشرقى فى القرن العشرين، وكان المصريون فى وصفهم لأمان الله يقصدون قبل كل شىء إظهار كراهيتهم للملك فؤاد والاستعمار البريطانى، وكان الوفد المصرى وراء هذه الكتابات.

رأيت الحكومة تحارب الإسلام؛ ولذلك أخذت على عاتقى خدمة الإسلام والدفاع عنه، وإننى فى المستقبل لن أنفق أموال بيت المال فى إنشاء المدن وبناء القصور وفتح المدارس للبنات، بل سأنفقها على الجنود وعلماء الدين، لقد ألغيت جميع الضرائب والجمارك من هذا اليوم، وأنتم رعيتى وأنا أميركم اذهبوا وعيشوا فى سعادة وأمان.

وكان «رحمه الله» حاكمًا رفيعًا عفيفًا فى أعماله، فمع الانتصار والظفر بالقصر الملكى وخزائن الذهب لم يمد يده لسلب شىء قط، ولم يسمح لأى شخص أن يمد عينه إليها، ولكن هذه الذخائر والمدخرات نهبت بعده ولم يبق لها أثر. وفى العيد الحادى عشر للاستقلال الذى كان يحتفل به أيامه فى كابل، امتدح تضحية الناس وإيثارهم وإسهام الأمير أمان الله خان فى الحصول على الحرية، وحث الناس على شكره والعرفان بجميله، وقال:

يجب أن نعد أنفسنا ونقويها لنقل بوابة الصندل[1] من لندن ونحرر بخارى، وكرر المطلب نفسه، فى مجلس خاص مع السفير الروسى. هذه التصريحات فى الواقع كانت تمثل روح الحرية والاستبسال وحب الوطن، وعدم الجزع والخوف من الاستعمار وعدم الارتباط به؛ لأنه عقب هذه التصريحات طلبت إنجلترا سفيرها فى الحال، وتناول ملك إنجلترا حين افتتاح البرلمان وضع أفغانستان، فقال وضع غامض وغير معروف، وقال: إن سفير إنجلترا لن يعود إلى كابل ما دامت لا توجد هناك حكومة مرغوبة مطلوبة من الشعب[2]. ومن حديث ملك إنجلترا يظهر جيدًا أن حبيب الله كان مثل الشوكة فى أعين الإنجليز والروس معًا، ولهذا السبب كانوا يبحثون عن شخص يستطيع أن ينفذ أوامر لندن، وفى الوقت نفسه الذى كانت فيه هذه الضجة فى برلمان لندن نشرت جريدة «حبيب الإسلام» خبرًا يقول: إن الإنجليز قد اتفقوا مع نادر خان على أن يبلغوه إلى مقام السلطنة فى أفغانستان[3]. ويؤيد هذا الخبر وثائق وشواهد أخرى. وقد حكم حبيب الله خادم دين رسول الله لمدة تسعة أشهر من يناير إلى أكتوبر ١٩٢٩، وطرح حرية «بخارى» وبوابة الصندل جرت البلاء عليه من الروس والإنجليز معًا، وتمكن نادر خان «سفير أفغانستان فى فرانسا آنذاك وأحد القادة السابقين لجيش الملك أمان الله خان» بمساعدة القبائل البشتونية والبريطانية من دخول كابول، وقتل «ابن السقاء حبيب الله». ثم أصبح ملكًا ـ أى نادر شاه ـ على أفغانستان فى ١٥ أكتوبر سنة

(١) كان لقبر السلطان محمود الغزنوى بوابة كبيرة من خشب الصندل، وكان يعتقد أن السلطان محمود قد جلب هذه البوابة إلى غزنة من معبد السومينات فى الهند، وعندما هاجم الإنجليز أفغانستان فى القرن التاسع عشر قلعوا هذه البوابة وأخذوها معهم الى أكرا بالهند.

(٢) جريدة حبيب الإسلام، السنة الأولى، العدد ١٧ نقلًا عن جريدة التايمز فى لندن ١١ / ٥/ ١٩٢٩.

(٣) جريدة حبيب الإسلام، السنة الأولى، العدد ٢٥ – ٢٦، ص ٢. وأيضًا، لودويك دبليو آدمك، مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٢.

١٩٢٩[١]. وتولى الحكم بعد اغتيال نادر خان نجله الوحيد محمد ظاهر شاه وهو فى سن التاسعة عشرة ١٩٣٣ ـ ١٩٧٣. وتعد هذه الفرصة التى تطول إلى أربعين عامًا من أحسن الفرص التى استطاع الروس فيها أن ينهضوا بمخططاتهم الاستعمارية الواحدة تلو الأخرى فى هدوء بال وحرية وعلانية، وما لم يتوقعوه فى أحلى الأحلام قد حصلوا عليه فى اليقظة[٢]. وحاول ظاهر شاه أن يواصل الأعمال الإصلاحية لأمان الله ومحمد نادر شاه بشكل تدريجى، وفى البداية عمل على كسب حب الشعب والرأى العام فأعلن تمسكه بالإسلام واتباع الشريعة الإسلامية، لكنه فيما بعد غير منهجه. ومن التغييرات التى قام بها رفع الحجاب، حيث عقد الملك مؤتمرًا شعبيًّا وحمل حجاب امرأة مسلمة ووضعه تحت قدمه، وقال: انتهى عهد الظلام إلى الأبد[٣].

أعتقد أن أربعين سنة من حكم ظاهر شاه بالتعاون مع سياسات الاستعمار البريطانية والاتحاد السوفييتى لم تجلب سوى الجهل والفقر وسلب ثروات أفغانستان. وأكثرمن هذا فقد زاد فى عهده الاعتماد الاقتصادى لأفغانستان على الاتحاد السوفييتى بصورة كبيرة بعد أن وقعت الدولتان اتفاقية شاملة فى يوليو ١٩٥٠، ولم يظل الجانب العسكرى بعيدًا عن التأثيرالسوفييتى؛ إذ إنه فى عام ١٩٥٦ وقع البلدان أول اتفاقية عسكرية لتزويد أفغانستان بأسلحة ومعدات حربية سوفييتية قيمتها ٢٥ مليون دولار... ومنذ ذلك التاريخ بدأ الخبراء السوفييت يعملون فى تطويرالجيش الأفغانى وانتشروا فى وحداته خاصة للتدريب على الأسلحة الجديدة فارتبط الجيش الأفغانى هوالآخر برباط وثيق ومباشر بالمؤسسة العسكرية السوفييتية سواء على المستوى التسليحى والتدريب أو على مستوى التحتية والتثقيف العقائدى[٤].

وهكذا كان الوجود السوفييتى فى المجالين المدنى والعسكرى على السواء قويًّا ومتواصلًا عبر سنوات طويلة. ليس فقط كما يتصور البعض منذ انقلاب ١٩٨٧ اليسارى، ولكن فى الأساس خلال عصر الملكية الطويلة ثم عصر الجمهورية فى ظل الجنرال محمد داود فى إبريل ١٩٧٨... الذى كان يوصف بأنه مهندس العلاقات السوفييتية الأفغانية. ونتيجة ازدياد نفوذ الغرب وتقويض تأثير الحركات الماركسية، بسبب ازدياد تمرد الحركة الإسلامية فى معظم المراكز والمؤسسات

(١) لودويك دبليو آدمك، **مرجع سبق ذكره**، ص ٢٦٩.
(٢) ش. ن، حق شناس، **مرجع سبق ذكره**، ص ١٦٧.
(٣) عبد الله عزام، **آيات الرحمن فى جهاد الأفغان**، دار الدعوة للطبع والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٨٥، ص١١٥.
(٤) صلاح الدين حافظ، **مرجع سبق ذكره**، ص ٨٩

العلمية، فقد دفع ذلك السوفييت إلى القضاء على الملك ظاهر شاه واستبدال شخص آخر به، قادر على دعيم النفوذ السوفييتى فى أفغانستان[١]. فقد أغروا داود خان بالاستيلاء على الحكم[٢]، وقام داود خان ابن عم الملك ظاهر شاه وزوج أخت الملك ومهندس العلاقات السوفييتية الأفغانية بانقلاب أبيض[٣].

وهكذا لدى عودته إلى السلطة بعد عشر سنوات من العزلة، ألغى الملكية وأبطل دستور ١٩٦٤، وأشار إلى أن العائلة الملكية أساءت استخدام سلطاتها وتسببت فى شلل اقتصادى وإدارى وسياسى وأعلن أن الأولويات الرئيسة للنظام ستكون التطوير الاقتصادى والاجتماعى بصفة أساسية[٤]. وأعلن الجمهورية معلنًا نفسه رئيسًا لها ورئيسًا للوزراء واحتفظ لنفسه بوزارة الدفاع والخارجية، وبهذا الشكل أنهى داود الحكم الملكى.

لقد أثار إشراك داود خان عقب توليه السلطة لجناح الحزب الشيوعى الأفغانى فى الحكومة حفيظة المجموعات الإسلامية، والتى كانت ذات صلة بالإخوان المسلمين على المستوى الدولى[٥] وأعلنت رفضها لهذا الخط الذى يتنافى مع تعاليم الإسلام، وقامت بتعبئة الشعب الأفغانى فى جميع أرجاء البلاد. وقامت حكومة محمد داود بضرب المقاومة، وسانده فى ذلك الاتحاد السوفييتى الذى خطط له كيفية قمع الحركة الإسلامية عن طريق عملائه الذين كانوا يعملون تحت حكم داود رسميًّا وتحت الحكم السوفييتى واقعيًّا... وبعد أن رأى «السوفييت» أن «داود خان» لم يستطع القضاء على الحركة الإسلامية؛ فقد كان خطرها المسلح يستفحل ويشتد يومًا بعد يوم. كذلك فإن بعض الدول الإسلامية حاولت أن تؤثر على «داود خان»[٦]، حيث استطاع الملك «فيصل»

---

(١) **تدخلات أمريكا فى البلدان الإسلامية (أفغانستان)**، مجلد (١)، منشورات الوكالة العالمية، بيروت، ص ١٢.

(٢) ومن المعروف أن اختيار «داود خان» للقيام بالانقلاب من جانب السوفييت كان لاعتبارات تتعلق بأنه فرد من الأسرة المالكة، ولكنه كان ناقمًا أيضًا على الملك بعد تنحيته عن رئاسة الحكومة، كما أنه كان رئيس حكومة سابقًا، ويعلم دقائق الأمور فى السياسة الداخلية وأكثر من هذا فقد كان «داود خان» متعاطفًا مع الروس وله تاريخ طويل فى العمل معهم فضلًا عن طموحه للسير فى هذا الطريق. فقد تلاقت إذن مؤهلاته مع إمكاناته واستعداداته وميوله الإيجابية نحو السوفييت مع خصومته للعمل الإسلامى.

(٣) محمد إكرام أنديشمند، **أمريكا در أفغانستان**، أمريكا فى أفغانستان، ناشر بنكاه، انتشارات ميموند كابل، ص ٧١.

(٤) تدخلات أمريكا فى البلدان الإسلامية، **مرجع سبق ذكره**، ص ٤٠.

(٥) السفير/ صلاح حليمة، محاولات تسوية الحرب الأفغانية، المشروعات الأفغانية، إبراهيم عرفات «محررًا» القضية الأفغانية وانعكاساتها الإقليمية والدولية. مركز الدراسات الآسيوية. كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة ١٩٩٩، ص ٢٤١.

(٦) عبد الله عزام، **مرجع سبق ذكره**، ص ١١٩.

بالتعاون مع «شاه» إيران ومصر من احتواء «داود» بقصد إبعاده عن موسكو وتقريبه إلى الغرب[1]. فقد دفع ذلك بالسوفييت إلى القضاء على «داود خان».... إلى أن وقع الانقلاب على داود خان فى ٢٧ إبريل ١٩٧٨. ووصل الشيوعيون إلى الحكم، وقد قام به العسكريون من أعضاء حزب الشعب الديمقراطى، وهم أنفسهم الذين قاموا بانقلاب ١٩٧٣ المشهور بـ «هفت ثور»، ومما يدعو للأسف أن الانقلاب اليسارى الذى أطاح بمحمد داود خان كان داميًا للغاية، فقد وصل عدد ضحايا الانقلاب وأفراد أسرة رئيس الجمهورية ومعاونيه فى اليوم الأول ـ حسب رواية وكالات الأنباء العالمية ـ إلى ١٥ ألف شخص[2]. وهكذا فى ظرف أقل من خمس سنين كان «داود خان[3]» الواقع بين المطرقة والسندان قد سقط ضحية انقلاب يسارى بواسطة رفقائه الشيوعيين. الأمر الذى مهد الأرض الأفغانية للانقلاب اليسارى الذى وقع فى ٢٧ أبريل ١٩٧٨ لصالح التحالف اليسارى لحزب الشعب الأفغانى الديمقراطى بقيادة التنظيمين الماركسيين «خلق» أو الجماهير بقيادة نور محمد تره كى وحفيظ الله أمين «وبرجم» أو الراية بقيادة ببرك كارمل، حيث تمكن تره كى وحفيظ الله أمين من السيطرة على الحكم بمساعدة سوفييتية بالطبع إلا أن الصراع على السلطة سرعان ما دب بينهما داخل تنظيم «خلق» نفسه، مما أدى إلى انفراد «تره كى» بالسلطة فى البداية حتى سبتمبر ١٩٧٩ لكن الأمور ما لبثت أن تدهورت فى عام ١٩٧٩ عندما دب خلاف بين «تره كى» ورئيس وزرائه «حفيظ الله أمين» وقاد الأخير انقلابًا فى ١٤ سبتمبر ضد تره كى الذى قتل خلال اشتباكات عنيفة بين المتصارعين على السلطة. وهكذا قتل تره كى بيد أعز أصدقائه وهو حفيظ الله أمين، والذى وصف علاقته بتره كى بقوله: «أنا وتره كى مثل الأصابع ملتصقان لا نفترق»... والتوجه الغربى لحفيظ الله أمين وسعيه إلى توطيد علاقاته بجيرانه وتطلعه إلى إقامة علاقات طيبة مع الولايات المتحدة وطلبه اللقاء مع ضياء الحق كل ذلك كاد أن يطيح النظام الجديد بدور فى فلك الكرملين تفاديًا لخطر كهذا، ووفقًا للعقلية التى كانت سائدة فى المعسكر الاشتراكى للحفاظ على مكتسباته، دخل الجيش السوفييتى كابل فى ٢٧/ ١٢/ ١٩٧٩ وهكذا

---

(١) ميرآقاحقجو، **مرجع سبق ذكره**، ص ١٧٧.

(٢) محمد عبد القادر أحمد، **مرجع سبق ذكره**، ص ٥٣.

(٣) ولد داود خان فى كابل عام ١٩٠٩ التحق بمدرسة حبيبية فى كابل وتابع دراسته فى فرنسا. التحق فيما بعد بكلية الضباط فى كابل، كان داود وزيرًا للدفاع الوطنى بين عام ١٩٤٦ـ١٩٤٨ ثم أصبح وزيرًا لشئون فرنسا وسويسرا وبلجيكا. فى عام ١٩٥٣ عين داود رئيسًا للوزراء ووزيرًا للدفاع والتخطيط، وقام الملك ظاهر شاه بإقالته عام ١٩٦٣ بسبب سياسته العدائية لباكستان، وفى عهده بدأت مشكلات الحدود تطفو على السطح بعدما غرست بريطانيا بذور هذه الأوضاع المتفجرة. وقد سقط ضحية انقلاب يسارى بواسطة رفقائه الشيوعيين عام ١٩٧٣.

نفَّذَ «بريجنيف» وصية بطرس الأكبر التى أودعها ضمن وثائق الكرملين وجاء فيها: أيًّا كان من سيخلفنى فإن عليه أن يزحف جنوبًا نحو القسطنطينية والهند؛ لأن من يخضع هاتين المنطقتين ستكون له السيادة الحقيقية على العالم. وبعد دخول الجيش الأحمر إلى أفغانستان وقتل حفيظ الله أمين[1] أصبح «ببرك كارمل» رئيسًا للحكومة الجديدة.

وهكذا أصبحت أفغانستان تابعة بشكل كامل للاتحاد السوفييتى، ودخلت أفغانستان بهذه المرحلة دائرة جديدة من دوائر التعقيدات الجيوبوليتيكية، وبدأت آنذاك قضية تصفية الحسابات بين كلٍّ من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى.

***

(١) بعد التدخل العسكرى هاجم عدد من القوات السوفييتية قصر «دار الأمان». وقبضت على «أمين»، والذى كان مستقرًّا بداخله بعد أن دسوا لهم السم فى الغذاء الذى قدم له ولمؤيديه جميعًا، ثم أطلقت عليه الرصاص مع زوجته وابن أخيه وأولاده السبعة، وهكذا سقطت حكومة «أمين» بهذا الشكل.

obeikandl.com

المبحث الثالث

موقف مصر تجاه المقاومة الإسلامية ضد السوفييت

اتخذت السياسة الخارجية المصرية تجاه المقاومة الإسلامية ضد السوفييت مجموعة من المظاهر تمثلت فيما يلى:

أولًا: الإدانة الفورية للتدخل

فور التدخل العسكرى السوفييتى فى أفغانستان قام المجتمع الدولى، وعلى رأسه مصر، بانتقاد هذا التدخل باستثناء عدد قليل من الدول المنحازة للاتحاد السوفييتى. وقد وضحت هذه الإدانة فى كثير من المؤتمرات الدولية وفى كثير من تصريحات المسئولين بهذه الدول لاعتبارهم أن هذا التدخل العسكرى يعد خرقًا فاضحًا للمبادئ والمواثيق الدولية وانتهاكًا لمبادئ السيادة الإقليمية والحدود الدولية المعترف بها وتقرير المصير لدول العالم. حيث صرح متحدث رسمى باسم الخارجية المصرية بما يلى:

تدين جمهورية مصر العربية بكل قوة وحزم التدخل العسكرى السوفييتى فى أفغانستان الذى تعتبره خرقًا صارخًا لميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولى، وأنه محاولة جديدة لفرض نظام ماركسى على شعب أفغانستان بهدف القضاء على هويته الإسلامية الأصيلة، وهو أمر لا تستطيع مصر السكوت عليه انطلاقًا من مسئوليتها الخاصة تجاه الأمة الإسلامية، كما ترى فيه محاولة إضعاف حركة عدم الانحياز عن طريق سلخ أفغانستان عنها وإدخالها فى المعسكر السوفييتى[1].

وقد أبلغت مصر هذا البيان رسميًّا إلى الحكومة السوفييتية خلال لقاء بين السفير السوفييتى فى مصر ووزير الدولة للشئون الخارجية المصرية بعد ظهر ٢/ ١٢/ ١٩٧٩[2].

---

(١) الأهرام ٢٨ ديسمبر ١٩٧٩

(٢) جمال على زهران، **ديناميكية السياسة الخارجية والدورالمصرى فى ظل التحولات الجديدة**، مركز المحروسة للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص ٢١٤.

وقد كانت مصر حكومة وشعبًا أول من نددت بالتدخل إيمانًا منها بالقيم والمبادئ التى تعمل فى إطارها فأجرت اتصالات واسعة مع دول العالم وخاصة دول عدم الانحياز بهدف شجب التدخل الأجنبى السافر وقد حظيت فى جميع اتصالاتها الدولية هذه بالنجاح وصدر قرار الإدانة ضد الغزو السوفييتى لأفغانستان وخاصة فى الأمم المتحدة[١].

وكذلك أدان مجلس الشعب المصرى التدخل العسكرى السوفييتى لأفغانستان ووجه نداء عاجلًا لدعوة المؤتمر الإسلامى إلى اجتماع طارئ لاتخاذ موقف موحد للحيلولة دون إبادة الشعب المسلم فى أفغانستان على يد الاتحاد السوفييتى وعملائه فى كابول. وطالب السوفييت بسحب قواتهم على الفور، ودعا كل الدول المحبة للحرية والسلام والدول الإسلامية خاصة، أن تقف مع نضال شعب أفغانستان (وهم يقاتلون فى أشرف نضال) لاسترداد حريته واستقلاله.

هذا وقد استنكر الأزهر الشريف العدوان السوفييتى على شعب أفغانستان، وحذر الشعوب من أبعاد المد الشيوعى وأخطاره التى تهدد الدول الإسلامية ودعا لعقد اجتماع لاتخاذ موقف حاسم فى مواجهة خطر الغزو السوفييتى الإلحادى، وأعلن الأزهر تأييده الكامل لموقف الرئيس السادات والحكومة المصرية فى كافة الإجراءات التى اتخذتها فى مواجهة العدوان السوفييتى على الإسلام والمسلمين[٢].

وقد دعا الشيخ جاد الحق على جاد الحق مفتى الجمهورية المسلمين فى سائر الأقطار إلى المسارعة بنجدة مسلمى أفغانستان الذين يدافعون عن دينهم وأنفسهم وبلادهم ويدفعون عن باقى البلاد الإسلامية شرور الشيوعية وغيرها من الأفكار الهدامة التى تحاول جاهدة تفتيت قوة المسلمين ونشر الفتن فيما بينهم لإضعافهم والاستيلاء على ثرواتهم ومقدراتهم[٣].

ثانيًا: الدعم المالى للمجاهدين الأفغان

وقفت مصر مع المجاهدين الأفغان منذ انطلاق الرصاصة الأولى فى سبيل الله ودعمت هذا النضال والجهاد المبارك وساندته فى وقت كانت كل المعطيات فى الساحة تؤكد رجحان كفة الجانب الشيوعى من ناحية القوة والعتاد والتنظيم ولكن إيمان مصر بحتمية انتصار وسيادة توجهات الأغلبية الغالبة من المواطنين على الأقلية المعزولة، وانطلاقًا من التزام مصر بنصرة القضايا الإسلامية

(١) جامعة الشعوب الإسلامية والعربية، **أفغانستان فى مواجهة الغزو الروسى**، القاهرة، ١٩٨٢، ص ١٢٨.
(٢) جريدة الأهرام، ٩ / ١/ ١٩٨٠.
(٣) جريدة الأهرام، ٢٧ / ٢/ ١٩٨٠

جعل من موقف مصر موقفًا مبدئيًّا ثابتًا لا يتأثر بأى تطورات مهما كان نوعها أو حجمها. وقد قامت مصر منذ البداية بمساندة المجاهدين وأيدت حق الشعب الأفغانى فى تقرير مصيره بعيدًا عن تدخل القوى العظمى. كما أيدت جهود الأمم المتحدة لتسوية المشكلة الأفغانية، إضافة إلى ذلك نادت مصر بسرعة تسوية المشكلة الأفغانية على أساس احترام استقلال أفغانستان وانسحاب جميع القوات الأجنبية ووقف التدخل فى شئونه الداخلية وتأكيد عدم إنحيازه.[١] والأفغان كلهم يعتبرون مصر عماد الدعم للجهاد الأفغانى مقابل الغزو السوفييتى؛ لأن مصر كانت أول مصدر من مصادر السلاح الذى وصل إلى أيدى المجاهدين، وأول من أيد المجاهدين الأفغان وساندتهم عسكريًّا وسياسيًّا[٢].

وهكذا شاء الله ـ تعالى ـ أن تحمل مصر لواء الزعامة فى هذا الجهاد المبارك فتحمى تراث الاسلام وبطلها الرئيس أنورالسادات ـ رحمه الله ـ[٣] بنزاهته وحنكته السياسية وكفاءته الإدارية وشجاعته وحزمه ووفائه وإخلاصه فى خدمة الدين والوطن الإسلامى. فقد جاء تأييد مصر لجهاد الشعب الأفغانى على لسان رئيس الجمهورية «محمد أنور السادات» ثم فئات الشعب كله. وفتحت مصر باب التبرع لدعم نضال الشعب الأفغانى، حيث أعلنت أمانة الحزب الوطنى الديمقراطى عن فتح باب التبرع من المواطنين لدعم نضال الشعب الأفغانى فى مواجهة السوفييت، كما أعلنت أيضًا عن نظام جمع التبرعات عن مكاتب الحزب فى مختلف المحافظات[٤].

وقد ناقش مجلس الشعب فى ١٣ من يناير ١٩٨٠ قضية العدوان السوفييتى على أفغانستان وطلب من الحكومة تقديم مزيد من الدعم والتأييد والتعضيد لنضال الأفغان والتنديد به فى المحافل الدولية، وحث العالم (العربى والإسلامى) على التصدى للغزو السوفييتى لأنه لن يتوقف عند حدود أفغانستان[٥].

---

(١) عمرو هاشم، **القضايا الخارجية فى عهد مبارك القاهرة**، سلسلة كتاب الأهالى، بدون تاريخ، ص ١١٧.

(٢) أفغانستان وجهان، **مرجع سبق ذكره**، ص ١٠٢.

(٣) كما كان للرئيس أنورالسادات شأن عظيم بين جيل الشباب فى مصر بل وفى العالم الإسلامى كله، حيث كان يمثل نموذجًا للزعامة الوطنية فى العالم الثالث، كما كان زعيم السواد الأعظم من أبناء الأمة العربية، وإننا فى معظم الأحيان نتأثر تمامًا بالجوانب الإيجابية فى سياسته الخارجية مهملين تمامًا الجوانب السلبية الأخرى فطوال أحد عشر عامًا وهى مدة زعامته مثل خلالها الشخصية العظمى فى العالم العربى.

(٤) جريدة الأهرام، ٤ / ١/ ١٩٨٠،

(٥) جمال على زهران، ديناميكية السياسة الخارجية المصرية، **مرجع سبق ذكره**، ص ٢١٥.

ولا شك أن موقف مصر فى ذلك الوقت كان من منطلق التزام مصر بنصرة القضايا الإسلامية أولًا ومقاومة النفوذ السوفييتى الذى راح يزداد فى منطقة الشرق الأوسط ثانيًا، وكذلك العداء الشديد بين السادات والاتحاد السوفييتى ثالثًا، والذى كان من أهم مظاهره قيام السادات بطرد الخبراء السوفييت من مصر عام ١٩٧٢، وقد أعقب ذلك صراع حاد بين مصر والاتحاد السوفييتى.

ثالثا: قطع العلاقات مع بعض الدول المؤيدة للتدخل

قرر المكتب السياسى للحزب الوطنى قطع كل العلاقات السياسية على كل المستويات بين مصر والنظام الماركسى فى عدن والنظام البعثى فى سوريا لتأييدهما العدوان على أفغانستان وهو ما لم يحدث له نظير فى بلد آخر. وفى السادس من يناير ١٩٨٠ أصدر المكتب السياسى للحزب الوطنى فى السادس من يناير ١٩٨٠ عدة قرارات مهمة؛ منها تقديم التسهيلات الخاصة بالتدريب العسكرى للشباب الأفغانى، وخفض التمثيل الدبلوماسى مع موسكو[١]. كما أعلنت مصر مقاطعتها لأولمبياد عام ١٩٨٠ فى موسكو.

رابعًا: موقف جامعة الشعوب الإسلامية والعربية

بعد اتفاقية كامب ديفيد قررت الدول العربية نقل مقر جامعة الدول العربية من مصر إلى تونس؛ لهذا كان لا بد من إيجاد بديل لهذه الجامعة فأعلنت مصر رغبتها فى إنشاء جامعة بديلة لجامعة الدول العربية، وبدأت مراحل إنشاء جامعة الشعوب الإسلامية. وقد واكب ذلك مرحلة الغزو السوفييتى.. لهذا دعت مصر على الفور لإنشاء مكتب أفغانستان تابعًا لجامعة الشعوب الإسلامية.

وقامت جامعة الشعوب الإسلامية والعربية بدعوة وفد كبير من قادة الأفغان لحضور أسبوع التضامن مع شعب أفغانستان. وقد حضر الوفد الأفغانى فى ٢٣ ديسمبر ١٩٨٠ ومكثوا أكثر من ١٥ يوما[٢]. وعقدت الجمعية التأسيسية لجامعة الشعوب الإسلامية اجتماعها الأول فى مبنى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية فى القاهرة فى ٢٠ صفر سنة ١٤٠١هـ الموافق ٢٧ ديسمبر ١٩٨٠م وكان اجتماعًا استثنائيًا للتضامن مع الشعب الأفغانى وتدارست الجمعية إصرار الاتحاد السوفييتى على عدوانه الآثم على الأرض الأفغانية وتشريده لأهلها وانتهاكه للاستقلال وأعمال

(١) جمال على زهران، المرجع السابق، ص ٢١٠.
(٢) المرجع السابق، ص٢١٦.

الإبادة الجماعية، واستمعت إلى ما أدلى به القادة الأفغانيون من بيانات رهيبة تكشف أعمال الإبادة الجماعية الوحشية فأصدرت الجمعية القرارات التالية[1].

دعوة منظمات وحركات التحرير الأفغانية إلى الوحدة فيما بينها.

- مطالبة الدول الإسلامية والعربية بالعمل على دعم المجاهدين الأفغان بجميع الوسائل العسكرية والمالية والسياسية الفعالة ودعوتها إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع حكومة أفغانستان العميلة.
- التوعية بالقضية الأفغانية وفى هذا السبيل فقد أصدر المكتب عدة كتيبات كان لها فضل كبير فى تعريف كل من اتصل بها بأبعاد الغزو الشيوعى وإعطاء فكرة وافية عن كل ما يتصل بقضية المسلمين فى أفغانستان.
- تركيز الجهود لإدانة الغزو السوفييتى لأفغانستان فى المحافل الدولية والإقليمية والوطنية والمنظمات المعنية بحق السلام وحقوق الإنسان.
- تخصيص صندوق فى مكتب أفغانستان بالأمانة العامة للجمعية لجمع التبرعات من مختلف الهيئات والجمعيات والأفراد فى العالم الإسلامى والعربى.
- مطالبة دول العالم الثالث باتخاذ الإجراءات والمواقف الإيجابية الموحدة واللازمة لإنهاء الغزو السوفييتى لأفغانستان، وإدراج هذا الموضوع على جدول أعمال المؤتمر القادم لحركة عدم الانحياز الذى كان مقررًا عقده عام ١٩٨١ وذلك لتقرير خطة عملية فى مقاومته.
- دعوة الأمم المتحدة والولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية وجمهورية الصين الشعبية وسائر الدول إلى وضع القرارات التى اتخذت لإنهاء الغزو السوفييتى لأفغانستان موضع التنفيذ.
- قررت الجمعية التأسيسية قبول ممثلى عدد من أهم منظمات الجهاد والتحرير الأفغانية كأعضاء فيها وهى: «الجمعية الإسلامية الأفغانية ـ الحزب الإسلامى الأفغانى ـ الجبهة الوطنية الإسلامية الأفغانية ـ حركة الانقلاب الإسلامى الأفغانى ـ الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان»[2].

(١) محمد عبد القادر، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٤.
(٢) المرجع السابق.

وتنفيذًا لتلك القرارات فقد تحررت خطابات بهذا الشأن إلى كل من:

سكرتير عام المؤتمر الإسلامى ـ سكرتير عام الأمم المتحدة ـ الدول الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن، الدول الإسلامية والعربية كافة مع تنويه إلى قرارات الجمعية التأسيسية السالف ذكرها من المطالبة بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الحكومة الأفغانية العميلة – سفارات العالم الثالث التى لها تمثيل سياسى بالقاهرة مع الإشارة بالتخصيص إلى إدراج موضوع الغزو السوفييتى لأفغانستان فى جدول أعمال مؤتمر عدم الانحياز [١].

وعقدت ثانى اجتماع لها بتاريخ ٢٣/ ٥/ ١٩٨١ لمتابعة البحث فى الموضوع نفسه، هذا وعقدت مصر المؤتمر الثانى مع شعب أفغانستان فى غرة ربيع الأول ١٤٠٢هـ الموافق ٢٧ ديسمبر ١٩٨١ فى جامعة الشعوب الإسلامية وبحضور الجمعية التأسيسية، وتحدث فيه أمين عام جامعة الشعوب الإسلامية والأمين العام المساعد وفضيلة شيخ الأزهر ونائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية وفى ختام المؤتمر صدر بيان عن شيخ الأزهر بالفتوى التالية:

إن كل مسلم يتعاون مع الروس على أرض أفغانستان المسلمة فهو على درجة من الخيانة لدينه بمقدار ما تعاون معهم، وكل حكومة تقوم هناك فتمكن لأقدام الروس فى أرض أفغانستان حكومة غير شرعية[٢].

خامسًا: اللقاء التاريخى بين الرئيس السادات وقادة المجاهدين

وقد أسلفنا أن جامعة الشعوب الإسلامية والعربية قامت بدعوة وفد قادة الجهاد الأفغان، وقد حضر الوفد الأفغانى، والتقى الرئيس السادات قادة الجهاد الأفغانى، وأكد الرئيس لثوار وقادة الجهاد الأفغانى أن مصر ستقف إلى جانب شعب أفغانستان بكل ما فى الإسلام من قوة وعزة. وقال: إن مصر على استعداد لتقديم كل العون لشعب أفغانستان فى نضاله ضد الاحتلال السوفييتى، وأضاف سيادته أن مساعدة شعب أفغانستان فى محنته واجب على كل مسلم وعلى كل شعب حر، وأكد أن الخيانة هى أن يقف بعض منا ويؤيد السوفييت ضد شعب أفغانستان الحر المناضل[٣].

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٨.

(٢) بيان من المؤتمر الثانى للتضامن مع الشعب الأفغانى المعقود بمقر جامعة الشعوب الإسلامية والعربية بالقاهرة فى غرة ربيع الأول ١٤٠٢هـ، ٢٧ / ١٢/ ١٩٨١م.

(٣) لم تيسر كل الدول العربية لمقاومة السوفييت فى أفغانستان، فكثير من الأنظمة العربية فى تلك الفترة (ثمانينيات القرن الماضى) كان مدعومًا من الاتحاد السوفييتى مثل العراق وسوريا واليمن الجنوبى، وكان من الطبيعى أن تقف مع ولى نعمتها (موسكو) فى النزاع الأفغانى، ومن ثم قطعت مصر المباركة بقيادة الرئيس السادات علاقتها مع هذه الدول لتأييدهم العدوان على أفغانستان، وقد أدان الرئيس السادات أيضا بعض الحكومات الإسلامية لتقاعسها عن القيام بواجبها تجاه المجاهدين الأفغان.

وأكد أيضًا أن مصر ستقف بجانب الكفاح الأفغانى بكل ما فى الإسلام من قوة، وأكد أن الشعب الأفغانى سيجد فى مصر الشقيق الذى يقف معه ومع كفاحه مهما طال الزمن. وقال الرئيس الراحل لقادة الأفغان: إنكم تعلمون أن جامعة الشعوب العربية والإسلامية قد بدأها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى القرن الماضى ونحن بدأناها الآن وكان أول مكتب فيها هو مكتب أفغانستان. اعلموا أن هذا البلد بلدكم وأن الأهل هنا أهلكم، وكما قلت لكم كل ما نملك هو ملككم وسنقف معكم بإذن الله بكل إيمان الأخوة وبكل ما فى الإسلام من تضامن ومعانى الأخوة ومعانى التضحية وبكل ما عشناه سعيًا عبر الماضى من كفاح أيدت أفغانستان[1] فيه كفاح الأمة العربية وكفاح كل شعب عربى كافح فى سبيل استقلاله[2].

وقدم السيد الدكتور سيد نوفل الأمين العام للجمعية التأسيسية مجموعة من المسدسات والمدافع الرشاشة هدية من السيد الرئيس السادات إلى قادة الجهاد الأفغانى تعبيرًا عن مساندة ودعم جمهورية مصر العربية للنضال الأفغانى ماديًّا ومعنويًّا، كما أعدت الأمانة العامة زيارة للقادة الأفغان إلى كل من مصنع الحديد والصلب فى حلوان ورحلة نيلية إلى القناطر الخيرية وزيارة

(١) كانت أفغانستان على الدوام من المؤيدين للحق العربى، فلم تتغيب القيادة الأفغانية عن مناصرة أى من القضايا المصيرية، بل كانت دائمة الحرص على المناداة بوحدة الصف العربى وترتيب البيت الداخلى لمواجهة التحديات الخارجية والأطماع الأجنبية. فالقيادة الأفغانية لم تدخر جهدًا فى المحافل الدولية أو الإقليمية عن نصرة الحق العربى والتنديد بالسياسات الاستعمارية ضد الحقوق العربية.
فعلى سبيل المثال، وقفت أفغانستان حكومة وشعبا مواقف مشرفة إلى جانب القضية الفلسطينية (وحتى الآن) وكانت شديدة التحمس لكل ما يتعلق بهذه القضية، فلقد تبرع جميع أفراد الشعب الأفغانى بسخاء وعن طيب نفس لفلسطين بمبالغ طائلة أرسلت إبان حرب فلسطين ١٩٤٨ إلى أمانة جامعة الدول العربية، هذا بالإضافة إلى تقديم المئات للتطوع إلى جانب المجاهدين ضد الصهاينة، وكانت أفغانستان هى الدولة الوحيدة غير العربية التى اعترفت بحكومة عموم فلسطين سنة ١٩٤٩.
وكذلك وقفت أفغانستان أيضا إلى جانب حركات التحرير فى الوطن العربى كله مثل الجزائر والمغرب وتونس... واحتلت أحداث العدوان الثلاثى على مصر مكانة مهمة فى سياسة أفغانستان الخارجية، حيث كانت أفغانستان فى مقدمة الدول التى أيدت حق مصر فى تأميم قناة السويس، وأعلنت معارضتها لجميع محاولات الاستعمار للسيطرة على القناة أو تدويل الإشراف عليها.
وبعد انسحاب المعتدين عن مصر عام ١٩٥٦ شارك الأفغان إخوانهم المصريين فرحة النصر وأرسل الملك ظاهر شاه برقية تهنئة إلى الرئيس جمال عبد الناصر. وعقب النكسة العربية ١٩٦٧ كان بعض الشيوخ يبكون ليل ونهار هذه الهزيمة، وتدفق عقب النكسة على السفارة المصرية فى كابل آلاف الأفغان الذين كانوا يريدون التطوع إلى جانب العرب لقتال الإسرائيليين من أجل الإسلام وتحرير الأراضى العربية المحتلة. وعند ما انتصرت مصر فى حرب ٦ أكتوبر بقيادة الزعيم الراحل السادات سنة ١٩٧٣ أقام الأفغانيون أفراحًا فى كل أفغانستان.
مما سبق كله، نرى بوضوح مدى الروابط الوثيقة التى تربط أفغانستان وشعبها بالشعوب العربية عامة وبمصر خاصة.

(٢) جريدة الأهرام، ٢٧/ ١١/ ١٩٨٠.

للمصانع الحربية للصواريخ ولقاءً شعبيًّا بالجامع الأزهر وزيارة لمدينة بورسعيد وخط بارليف وسيناء. وتأكيدًا على التضامن مع الشعب الأفغانى وتوجيهات السيد رئيس الجمهورية وبعد إنشاء مكتب لأفغانستان بجامعة الشعوب الإسلامية والعربية تم فتح حساب للمكتب ببنك فيصل الإسلامى المصرى لتلقى التبرعات لصالح الشعب الأفغانى، حيث بلغت جملة التبرعات لصالح مجاهدى الشعب الأفغانى أكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات المصرية آنذاك[١].

هذا، وقد شكر قادة الجهاد الأفغانى الرئيس أنور السادات لدعمه ومساندته للمجاهدين حيث قالوا: «إن الرئيس السادات هو الزعيم الوحيد الذى تعهد بتقديم كل المساعدات لشعب أفغانستان[٢]. وقال صبغة الله مجددى لا بد أن نذكر بالخير كل الدول الإسلامية... وفى بداية جهادنا زرنا مصر وكنا مجموعة من قادة المنظمات الأفغانية، وفى مصر التقينا الرئيس السادات، وكان «رحمه الله» أول من أيدنـا وأول سلاح تسلمناه كان من مصر، وعندما زرنا مصر كنا ضيوفًا على الحكومة المصرية واستقبلنا الشعب المصرى استقبالًا رائعًا فى ٢٧ ديسمبر ١٩٨٠ ودعانا لزيارته فى قرية «ميت أبو الكوم «وطلب أن يكون الإمام فى صلاة الجمعة واحدًا من المجاهدين. وفى مصر سافرنا إلى الإسكندرية وإلى الإسماعيلية، وفى كل مكان كنا نجد استقبالات شعبية رائعة[٣]. وكان «السادات» أول من أكد ضرورة تشكيل حكومة مؤقتـة للمجاهدين بأسرع ما يمكن وأن مصر ستكون أول من تعترف بها[٤].

وعقد مجلس الشعب المصرى فى الخامس من يناير ١٩٨٠ جلسة حضرها الوفد الأفغانى، وتحدث عدد كبير من الأعضاء من بينهم (رئيس مجلس الشعب وبعض نواب رئيس الوزراء...) معلنين جميعهم المساندة الكاملة للشعب الافغانى والثوار ضد تدخل السوفييت. وعبر د. محيى الدين(نائب رئيس الوزراء المصرى آنذاك) قائلًا:

«إن الشعب الأفغانى شعب تنحنى له الرءوس والجباه وهو يتصدى للجنود العتاة من الاتحاد السوفييتى، ومصر تقف على قدر ما تستطيع، وقد كان صوت مصر عاليًا خفاقًا مع أفغانستان فى جميع المحافل الدولية، وباسم شعب مصر وحكومته نؤكد استمرارنا على نفس النهج والطريق حتى يحقق الشعب الأفغانى نصره بالكامل، وترتفع راية الاسلام كما كانت

(١) محمد عبد القادر أحمد، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٩.
(٢) جريدة الأهرام، ٢٧/ ١١/ ١٩٨١.
(٣) عصام دراز، ملحمة المجاهدين العرب فى أفغانستان، ص ١١.
(٤) أفغانستان وجهـان، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٣.

على أرضه عالية خفاقة، ذلك لأن الأفغان لهم فضل عظيم على شعبنا لن ننساه ونحن معكم حتى النصر». وتحدث صبغة الله مجددى أحد الزعماء الأفغان، أمام مجلس الشعب فشكر الأعضاء وشكر مصر حكومة وشعبًا على مساندتها لهم وأكد أن المساعدة الحقيقية وجدوها فى مصر[١].

سادسًا: التحالف الإستراتيجى بين مصر والولايات المتحدة والسعودية لمساندة المجاهدين

طبقًا للاتفاق الذى تم بين الرئيس «السادات» ورئيس الولايات المتحدة «جيمى كارتر»، فإن على مصر تزويد المجاهدين بالسلاح الروسى المخزون فى مصر على أن تعوضها الولايات المتحدة عن هذه الأسلحة بأسلحة أمريكية[٢]، كما تزودهم مصر بأسلحة مصرية الصنع وتساعد أمريكا مصر للغرض نفسه فى تشغيل مصانع الأسلحة المصرية التى كان الروس قد ساهموا فى بنائها[٣].

وبعد أن وافقت مصر مع كارتر لتزويد المجاهدين الأفغان بالسلاح الروسى بدأ انتقال الأسلحة من مصر فى «طائرات الشحن الأمريكية العملاقة» إلى المجاهدين الأفغان[٤].

وطبقًا لكتاب «الحروب غير المقدسة» فإن «بريجينسكى» مستشار الرئيس الأمريكى «جيمى كارتر» لشئون الأمن القومى كان جالسًا أمام الرئيس السادات يوم ٣ يناير ١٩٨٠ ينقل إليه رسالة من جيمى كارتر تدعو مصر الإسلامية أن تقوم بدور فى جهاد إسلامى ضد الاتحاد السوفييتى الذى غزا بجيوشه بلدًا إسلاميًا. وطبقًا لتعبير «بريجينسكى» فإن الدعوة التى حملها للرئيس المصرى طلبت إليه أن يدخل فى الفريق «الجهاد الإسلامى» فى أفغانستان (Join The Team) وكانت الحجج التى عرضها لإقناع الرئيس السادات: ما يلى:

١- إن مصر بمكانتها الخاصة فى العالم الإسلامى مؤهلة لدور فى الدفاع عن العقائد الإسلامية.

---

(١) جمال على زهران، **مرجع سبق ذكره**، ص ٢١٦.

(٢) جارج آرنى، **أفغانستان كذركاه كشوركشايان** (أفغانستان معبر المستعمرين)، ترجمة سيد محمد يوسف علمى وحبيب الرحمن هالة مركز نشراتى ميوند بشاور، ص ٨٠.

(٣) المشكلة الأفغانية فى المحافل الدولية، **مرجع سبق ذكره**، ص ٤٦.

(٤) جارج آرنى، **المرجع السابق**.

٢- إنه لا يصح ترك «شعارات الإسلام العظيمة - يحتكرها» آية الله الخمينى «لنفسه أو للإسلام الشيعى».

٣- إن دخول مصر فى هذا « العمل الجهادى» يعطى الرئيس السادات نفوذًا أوسع فى المنطقة إزاء أطراف عربية تعارض سياسته فى السلام مع إسرائيل، ومنها سوريا والعراق وليبيا.

٤- إن قيام الرئيس السادات بدور فى «الجهاد الإسلامى» يرد بشدة على أولئك الذين يتهمونه «بالتفريط » فى فلسطين، ويهيئ له قاعدة إسلامية أوسع من حيز الحدود لدول الجامعة العربية.

٥- إن مصر تملك مؤهلات تيسر لها العمل فى أفغانستان بينها أنها بلد الأزهر الذى يقبل المسلمون مرجعيته، كما أنها موطن جماعة الإخوان المسلمين التى تأثرت بها أو تفرعت منها جماعات إسلامية عاملة فى باكستان وأفغانستان، والرئيس السادات كرئيس لمصر يملك سلطانًا على الأزهر، وكسياسى فهو يحتفظ بعلاقات طيبة مع بعض زعماء الإخوان[1].

ورغم حساسيات يعرف بها «بريجينسكى» فإن ميدان الجهاد الإسلامى يستطيع جمع السلطة المصرية والأزهر والإخوان المسلمين على عمل مشترك يواجه شرور الإلحاد من ناحية، ومن ناحية أخرى تذوب به حساسيات مع الإسلام السياسى ـ مترسبة من ظروف سابقة أو تلين معه مفاصل فى العلاقات بين الطرفين متصلبة فى الوقت الراهن.

٦- إن مصر لن تتكلف شيئًا لأن الولايات المتحدة سوف تنشئ صندوقًا خاصًّا للجهاد فى أفغانستان تشارك بنفسها فى تمويله وتدعو للمشاركة عددًا من دول الخليج، أولها المملكة العربية السعودية، وهو يحمل رسالة حول هذا الموضوع من الرئيس «كارتر» إلى الملك والأمراء فى السعودية، وهو «بريجينسكى» على ثقة بأن المملكة سوف تستجيب سياسيًّا وماليًّا.

٧- إن مصر تستطيع أن تستفيد بأكثر من أجر الجهاد وثوابه؛ لأن الجهاد فى أفغانستان يضمن عقودًا سخية للصناعات العسكرية المصرية، فذلك الجهاد بالذات يلزمه سلاح سوفييتى الصنع والنوع.

---

(١) محمد حسنين هيكل، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٢.

«وكان «بريجينسكى» يقصد بذلك إغراء الرئيس « السادات» بأن الجهاد الإسلامى سوف يحتاج أن يشترى من مصر أسلحة سوفييتية الصنع لم تعد تريدها، أو أسلحة سوفييتية النوع وقامت بتصنيعها فى منشآتها (الصناعات الحربية)، ولا تجد مشتريًا لها؛ لأن المنطقة تشهد تحولًا ظاهرًا إلى الأسلحة الأمريكية»، ولذا دأبت المخابرات الأمريكية CIA على الحصول على أسلحة سوفييتية الصنع، وقد تم الحصول بالفعل على هذه الأسلحة من مصر وتم نقلها إلى المعسكرات الأفغانية فى باكستان[١].

٨- وكان الختام فى حجج «بريجينسكى» كالمعتاد أن مشاركة مصر فى الجهاد الإسلامى «ضد الاتحاد السوفييتى فى أفغانستان تساعد الرئيس كارتر على مواجهة أصدقاء إسرائيل فى الكونجرس - لأنها ترد على دعايات يقوم بها «مناحم بيجن» (رئيس وزراء إسرائيل وقتها) تزعم أن مصر ليست صديقًا للولايات المتحدة إلا بمقدار ما تريد منها أن تضغط على إسرائيل، وتلك حجة سوف تبطل عند ما يظهر أن مصر على رأس التصدى الإسلامى للسوفييت فى أفغانستان[٢].

وبعد أن التقى بريجينسكى الرئيس السادات خرج من مصر متوجهًا إلى السعودية وقد وجد نفسه رسولًا مكلفًا من الرئيس «السادات» أيضًا إلى جانب تكليفه من الرئيس «كارتر»؛ لأن الرئيس المصرى خوله إبلاغ الملك وولى العهد ووزير الدفاع فى السعودية عندما يلقاهم أن ينقل إليهم رسالة إضافية منه مؤداها: أنه جاهز ومستعد للعمل والتعاون معهم(اليوم قبل غد) فى عمل جهادى ضد الإلحاد.

وفى ٥ يناير، كان «بريجينسكى» فى السعودية والتقى الأمير فهد ولى عهد الملك خالد، وقد أبدى الملك لـ«بريجينسكى» قبوله للمبدأ من منطلق أن العمل الإسلامى ضد الإلحاد السوفييتى، وأفغانستان كان موضع اتفاق سابق معتمد من الملك فيصل، والآن وقد تحول الأمر إلى جهاد مقدس فى أفغانستان ذاتها، فإن تعاون المملكة طبيعى ومؤكد، أما التفاصيل المستجدة فهى عند ولى العهد. وأبدى الأمير «فهد» رضاءه عمَّا سمع من «بريجينسكى» أن الرئيس السادات تعهد بوضع الثقل المصرى كاملًا وراء السعودية فى ساحة الجهاد، على أن ولى العهد لم يكن يريد قصر

(1) Galster, S. «Afghanistan: The Making of us Policy 1973 -1995». National Security Archive, George Washington University, Washing ton, DC. 1995. p.18.

(٢) محمد حسنين هيكل، مرجع سبق ذكره.

دور المملكة على تقديم المال فقط، وإنما كان يريد لها دورًا أكبر فى الجهاد وأيده فيه بعض إخوته وبالذات الأمير سلطان وقال: إن إرادة الجهاد ينبغى أن تكون للمملكة وقيادته من فوق أرضها، وبعد ذلك تكون ترتيبات التنفيذ كما هو مناسب، وفى الترتيب العملى فإن ذلك اقتضى الاتفاق على خطوط سياسية عريضة.

(١) التمويل مشترك وبالتساوى بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية عن طريق صندوق دوار، يتأسس فى «جنيف» بمبلغ قدره ألف مليون دولار تتجدد تلقائيًا بمقدار ما يصرف منه.

(٢) والجهات المكلفة بالإشراف على التنفيذ من الجانب الأمريكى، وكالة المخابرات المركزية (وفيها الأميرال ستانسفيلد تيرنر فى ذلك الوقت)، ومن الجانب السعودى هيئة المخابرات العامة (وفيها الأمير «تركى بن فيصل» الذى جاء إلى هذا المنصب خلفًا لخاله السيد «كمال أدهم» مؤسس الهيئة).

(٣) التوجيهات والاتصالات السياسية مع قيادات الجهاد الإسلامى من اختصاص المملكة تجنبًا للحرج، مع العلم بأن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لها مكتب معروف فى «بيشاور» ومع أن الجيل الأول من الزعماء الأفغان الكبار مثل ربانى، حكمتيار، مسعود (على اختلاف ما بينهم) تعاملوا من البداية مع وكالة المخابرات المركزية، حينما كان نشاطهم داخل الجمهوريات الإسلامية للاتحاد السوفييتى، فإنهم الآن والميدان على أرض بلادهم ـ يفضلون أن يكون التعامل مع السعودية «لتكون الوسائط إسلامية».

(٤) تخصص مصر بتوريد الأسلحة والمعدات والذخائر مما لديها (من أسلحة سوفييتية: سوفييتية الصنع وسوفييتية النوع)، وعليها أيضًا أن توفر للجهاد الإسلامى دعمًا دينيًا وسياسيًا وإعلاميًا، وفى إطار ذلك المطلب فإن بعضًا من أهم المؤسسات الدينية فى مصر صدرت لها التعليمات بأن تتقدم باجتهادات وفتاوى تؤيد وتزكى أسبقية الجهاد ضد الإلحاد، كما أن بعض وسائل الإعلام الشهيرة فتحت أبوابًا ثابتة تدعو للجهاد فى أفغانستان وتجمع الأموال له.

وفى تلك الأوقات، كان التقدير المشترك للطرفين الأمريكى والسعودى أن دخول مصر «بثقلها» إلى ساحة «الجهاد الإسلامى» فى أفغانستان سوف يشجع عناصر قومية وإسلامية شديدة الإخلاص لمعتقداتها على أن تهرع إلى الساحة، وبحيث يظهر فعلًا أن هناك أهدافًا

عربية وإسلامية تستحق العزم والبذل، وأن العمل فى سبيلها ثواب يسعى إليه تقربًا وزلفى[1].

ويروى «جون كولى» فى كتابه «حروب غير مقدسة» (الفصل الثانى وعنوان الفصل كله: أنور السادات) ـ أن الرئيس ـ «السادات» كلف نائبه «حسنى مبارك» ـ وهو المسئول وقتها عن أجهزة الأمن الداخلى والخارجى ـ بالإشراف على المجهود المصرى فى «الجهاد الأفغانى» (لكن «مبارك» لم يلبث إلا شهورًا حتى ترك المهمة وأحالها إلى المشير «عبد الحليم أبو غزالة» وبدوره أحالها المشير أبو غزالة إلى غيره).

ثم يعود «جون كولى» أنه بعد أيام من لقاء الرئيس «السادات» مع «زبجنيو بريجينسكى» فى يناير ١٩٨٠ ـ أعطى الرئيس المصرى إذنًا باستعمال مطار «قنا العسكرى» قاعدة للتخزين والتشحين لخدمة «العمل الجهادى» فى أفغانستان، وكانت طائرات الشحن الأمريكية العملاقة تهبط فى هذا المطار كل مساء ويجرى تحميلها بالأسلحة والذخائر لكى تطير قبل منتصف الليل، وتهبط قبل الفجر فى المطارات العسكرية الباكستانية، وفى بعض المرات كان هناك «أفراد» مصريون يصحبون هذه الشحنات لإتمام إجراءات التسليم والتسلم، كما أن ميناء «بورسعيد» تحول إلى قاعدة خلفية للتخزين والشحن إلى «كاراتشى». وكانت الشحنات فى مصر بالدرجة الأولى أسلحة وذخائر ومعدات سوفييتية الصنع أو سوفييتية النوع. ويقول «جون كولى»:

«إن المخازن العسكرية المصرية كلها أفرغت ما كان فيها من أسلحة؛ بعضها مما كان مستخدمًا فى الجيش المصرى وجرى الاستغناء عنه، وبعضها ما أنتجته المصانع العسكرية المصرية وفيها مصنع فى حلوان وهو الذى جرى تعديل بعض آلاته لكى ينتج رشاشات سوفييتية التصميم». وابتداءً من ربيع ١٩٨٠، وبعده فصول متوالية إثر فصول كانت الحركة على الجسر الجوى بين مطار «قنا» العسكرى ومطار «بيشاور العسكرى»، وبورسعيد وكاراتشى ـ فيضًا يتدفق ليلًا ونهارًا ودون توقف. وفى أول إبريل ١٩٨٠، أعلن الرئيس « السادات» فى حديث صحفى نشرته وسائل الإعلام فى مصر ما يمكن اعتباره « قرارًا رسميًّا بالتدخل فى أفغانستان»، وكان نص ما قاله الرئيس «السادات» فى ذلك الصدد:

«إننا على استعداد بأسرع ما يمكن لكى نساعد فى أفغانستان، وأن نتدخل لنصرة إخواننا المجاهدين هناك سواء طلبوا منا المساعدة أو لم يطلبوها».

(١) المرجع السابق، ص ٢٥٦.

وحين سُئِلَ متحدث رسمى من إدارة الاستعلامات المصرية عن تصريح الرئيس «السادات» وهل تتضمن مساعدته لمجاهدى أفغانستان شحنات أسلحة؟ كان رده بالإيجاب، ثم أضاف: إن ما سوف نعطيه لإخواننا من الأسلحة هو بعض ما كان عندنا ولم نعد فى حاجة إليه، وذلك أبسط واجب نؤديه نحو إخواننا فى الإسلام. وأكد أيضًا أنه من منطلق مسئولية مصر الإسلامية عبر التاريخ سنعطى بقدر الإمكان ما يحتاجه الأفغانيون من أغطية وكساء وأكل... وسأرسل مزيدًا من الأسلحة. لقد أرسلت أسلحة وسأرسل مزيدًا منها ثانية مع الغطاء والطعام والملبس. كما أكد ذلك أيضًا فى حديثه يوم ٢٠ يناير ١٩٨٠ حيث قال: وسوف نبعث لهم السلاح[١].

سابعًا: موقف مصر التضامنى ضد الغزو السوفييتى

فى ذكرى مرورعام على التدخل السوفييتى أعلنت مصر أن السابع والعشرين من ديسمبر هو يوم للتضامن المصرى مع الشعب الافغانى. وخصصت مصر أسبوعًا للإعراب عن هذا التضامن[٢]. وقد أشاد الرئيس السادات فى يوم التضامن هذا بالعلاقات المصرية العربية الافغانية تاريخيًّا، وطالب الأفغانيين بالإسراع بوحدة الصف وتكوين حكومة حرة مؤقتة فى المنفى، بل وطالب العرب والمسلمين إعلان تضامنهم لتأييد الجهاد الوطنى المقدس للشعب الأفغانى[٣]. ووجه الرئيس السادات نداء إلى شعوب العالم للتضامن مع الشعب الأفغانى فى نضاله ضد الغزو السوفييتى، وأعلن أن مصر قد عقدت العزم على مضاعفة العطاء والدعم حتى تعلو كلمة الحرية وتنتصر إرادة الإنسان ويستعيد الشعب الأفغانى حريته كاملة ويقيم نظامه الوطنى بإرادته المستقلة. وقال السادات فى الكلمة التى ألقاها نيابة عنه السيد كمال حسن على نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية فى افتتاح أسبوع التضامن مع الشعب الأفغانى: إن الغزو السوفييتى لأفغانستان يمثل محاولة إحدى القوتين الكبريين للارتداد بالبشرية من عهد تصفية الاستعمار والعنصرية إلى الغزوات الاستعمارية البائدة، وأن هذا الغزو الذى يعد تهديدًا لأمن منطقة الخليج والشرق الأوسط كله قد كشف جميع الأقنعة وأسقط جميع الذرائع وفرض على المسلمين جميعًا التضامن التام مع المجاهدين الأفغان.

وأكد الرئيس «السادات» أن مصر فى دعمها للجهاد الأفغانى إنما تستند إلى مبادئ سامية

(١) جمال على زهران، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٧.
(٢) أفغانستان وجهان، مرجع سبق ذكره.
(٣) جمال على زهران، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٥.

تستمد من الدين الإسلامى ومن حرية الشعوب ومقاومة العدوان فى جميع صوره، ودعا المجاهدين الأفغان إلى تجميع صفوفهم وتوحيد منظماتهم وإقامة حكومة حرة موحدة يعترف بها العرب والمسلمون وسائر الدول الحرة فى العالم، لتدعيم النضال الأفغانى المسلح إلى أن يشرق فجر الحرية فى أفغانستان، وطالب الرئيس «السادات» الأشقاء العرب والمسلمين بأن يأخذوا ما حدث فى أفغانستان عبرة وأن يسرعوا إلى التضامن لدفع البلاء الذى يجرى فى بعض البلاد الإسلامية والعربية، والذى يؤذن بأن ينتهى إلى ما ينتهى إليه الاحتلال السوفييتى لأفغانستان[١].

وتنظيمًا لوسائل الدعم للمجاهدين الأفغانيين ورعاية لشئون اللاجئين والمتضررين من أبناء الشعب الأفغانى وافق السيد الرئيس «السادات» فى ٥/ ٤/ ١٩٨١ على تأليف لجنة للتضامن مع الشعب الأفغانى برئاسة السيد الدكتور نوفل الأمين العام للجمعية وعضوية كلٍّ من السيد هارون الأمين المساعد للجامعة، والسيد الدكتور يحيى درويش والأمين العام لجمعية الهلال الأحمر المصرى والسيد السفير محمد كامل مدير الإدارة بوزارة خارجية جمهورية مصر العربية، وقد عقدت اللجنة أول اجتماع لها بتاريخ ١١/ ٤/ ١٩٨١، حيث ناقشت أسلوب ووسائل توجيه المساعدات إلى الشعب الأفغانى ورعاية شئون اللاجئين المتضررين من أبناء الشعب الأفغانى.

وعقدت ثانى اجتماع لها بتاريخ ٢٣/ ٥/ ١٩٨١ لمتابعة البحث فى الموضوع نفسه. وبعد استشهاد «السيد الرئيس أنور السادات» ومجىء السيد حسنى مبارك رئيسًا جديدًا لمصر، فقد اتبع سيادته نهج سياسة السيد أنور السادات فى السياسة الخارجية المصرية تجاه أفغانستان.

ومما يؤكد ذلك قول الرئيس مبارك: «واجب علينا كدولة إسلامية أن نساعد إخواننا على حل قضيتهم ولا مفر من هذه المساعدة، وأن مصر مستعدة لتقديم المساعدة قدر المستطاع فى ذلك المجال»[٢]. وقال الرئيس مبارك أيضًا: «نحن علينا التزام تجاه أفغانستان كدولة إسلامية، وأنا لست من هواة الإدلاء بالتصريحات لأى عمل أقوم به، وأترك الأعمال تتكلم عن نفسها»[٣]. كما قال أيضًا: «كذلك فنحن نقف مع شعب أفغانستان الشقيق فى تمسكه بحريته فى اختيار حكومته ونضاله السياسى والاقتصادى دون تدخل أجنبى أو إملاء من الخارج»[٤].

---

(١) جريدة الأهرام، ٢٨ / ١٢/ ١٩٨٠.

(٢) من وقائع المؤتمر الصحفى للرئيس مبارك فى إسلام آباد، يوم ١٢/ ٤/ ١٩٨٣، جريدة الأهرام.

(٣) من حديث الرئيس مبارك فى المؤتمر الصحفى بباكستان.

(٤) قيلت فى مأدبة العشاء التى أقامها رئيس باكستان الجنرال محمد ضياء الحق تكريمًا للرئيس مبارك فى يوم ١١/ ٤/ ١٩٨٣، جريدة الأهرام.

هذا، وقد لعب الإخوان المسلمون دورًا كبيرًا متواصلًا فى دعم الجهاد الأفغانى... فى المجالات كافة؛ من جمع تبرعات وأموال إلى إرسال مدرسين للمخيمات.. إلى أطباء.. إلى مستشارين لقادة الجهاد.. كذلك وفروا دعمًا إعلاميًّا من خلال مجلاتهم «الدعوة» بمصر (قبل أن تغلق) ومجلة « المجتمع» التى تصدر بالكويت... ومجلة « الإصلاح» الاجتماعى «بدبى» بل من خلال المراكز الإسلامية المنتشرة فى أوروبا وأمريكا ومن خلال الجمعية الطبية الإسلامية التى يرأسها واحد من كبار قادة الإخوان وهو الدكتور أحمد الملط.. استطاعت هذه الجمعية أن تشترى المعدات الطبية... وتساهم مع لجنة الدعوة الإسلامية بالكويت فى إنشاء المستشفيات والمخيمات للمهاجرين الأفغان[1].

وفى حديث للمرحوم عمر التلمسانى ـ رحمه الله ـ حيث قال: لقد بذل الإخوان المسلمون المنتشرون فى العالم كل جهودهم لدعم الجهاد الأفغانى.. جمعوا من أموالهم الخاصة وداروا بأنفسهم يجمعون المال من ملايين المسلمين... كادوا أن يتسولوا من أجل دعم الجهاد الأفغانى. ولا يتوقف تأثير الإخوان المسلمين كتنظيم عالمى على الدعم المادى.. ولكن لا بد أن نذكر للأمانة التاريخية أن قادة الجهاد يقررون أنهم تأثروا تأثيرًا فكريًّا كبيرًا بحركة الإخوان المسلمين بمصر، وأن مؤسس الحركة الإسلامية بأفغانستان كان قد أمضى فى مصر حوالى خمس سنوات للدراسة بالأزهر الشريف بين عامى ١٩٥٤ و ١٩٥٩. وقد تأثر غلام محمد نيازى بحركة الإخوان المسلمون وتأثر بفكرة الجهاد، وعندما عاد إلى أفغانستان عين مدرسًا بكلية الشريعة بكابل، وكان كل همه هو إنشاء تنظيم يستمد فكره من الإخوان المسلمين. وقد استطاع غلام محمد نيازى أن ينشئ هذا التنظيم بالفعل من بعض طلبة كلية الشريعة البارزين، أمثال ربانى وسياف، وأصبحت كلية الشريعة بكابل نقطة تجمع وميلاد الفكرة التى تطورت من جماعة «جوانان مسلمانان» إلى الجمعية الإسلامية. ومما هو جدير بالذكر أن ربانى وأستاذه غلام نيازى وغيرهما كانوا من المتأثرين فكريًّا بالإخوان المسلمين، بل كانوا يعتبرون أنفسهم وتنظيماتهم روافد من روافد حركة الإخوان المسلمين... ولا أعتقد أن سيد قطب كان يتصور أن وحدات عسكرية ومواقع عسكرية للمجاهدين الأفغان تطلق على نفسها وحدة سيد قطب... أو موقع حسن البنا.

***

(١) عصام دراز، مرجع سبق ذكره، ص ٦٣.